المعرفية الاجتماعية ومهارات القراءة الذهنية

أ.د. هشام خباش

كلية الآداب والعلوم الإنسانية- سايس فاس
جامعة سيدي محمد بن عبد الله

hichamcogn_99@yahoo.fr

المعرفية الاجتماعية ومهارات القراءة الذهنية

أ.د. هشام خباش

كلية الآداب والعلوم الإنسانية - سايس فاس - جامعة سيدي محمد بن عبد الله

المقدمة: ما السر الكامن وراء اهتمامنا بقراءة أفكار الآخر؟ هل من أجل فهم طبيعة شخصيته وتيسير عملية التواصل والتعاون معه؟ أم من أجل التحكم فيه بشكل ماكيافيلي وتسخيره لتحقيق جملة من الغايات الشخصية؟ وما هي الآليات والعمليات الذهنية التي نعمد إليها للكشف عما يفكر فيه الآخر؟ وما حدودها؟ وبعبارة أوضح هل نحن قادرون على معرفة بدقة ما يتوارى في ذهن الآخر من أفكار وتصورات؟ أم لا يخرج الأمر عن كون معرفتنا بذهن الآخر تظل مجرد نشاط افتراضي قد يصيب وقد يخطئ؟ ومتى نكون أكثر رغبة في معرفة ما يروج في أذهان الآخرين؟ أي ما هي السياقات الأكثر تحفيزا للمرء لقراءة حالات الآخرين الذهنية والعاطفية؟ وهل في السياقات التواصلية الرقمية (شبكة الانترنيت وغرف الدردشة) يتم اللجوء إلى نفس استراتيجيات قراءة الذهن المعتمدة في الحياة اليومية؟.

تتطلب منا الإجابة عن هاته الأسئلة الوقوف عند أحد المفاهيم الأساسية في حقل العلوم المعرفية، وبالضبط فيتخصص المعرفية الاجتماعية، وهو مفهوم نظرية الذهن، والذي لا نعني به شيئا أخر غير تلك القدرة التي تميز الإنسان عن بقية الكائنات في كونه مدركا بكون الآخر مثله يتوفر على حالات ذهنية من قبيل القصدية الفهم والتنبؤ... وحالات عاطفية مثل الحب والكراهية والغيرة.... الشيء الذي يحث فضوله للتعرف عليها وسبر أغوارها[1]. وهكذا فما دامت المعرفة الذهنية، بوصفها نشاطا قرائيا لحالات الآخرين الذهنية والعاطفية، تميز الإنسان عن الحيوان[2]. ألا يجوز القول أن خريطة جهازنا العصبي مصممة بشكل قبلي لالتقاط هذا النمط من المعرفة الذهنية؟

معلوم أن المرء عارف إلى حد ما بنواياه ورغباته ومقاصده وعواطفه لكن ليس بمقدوره الولوج إلى ذهن الأخر لمعرفة فيما يفكر فيه هذا الآخر وما يحس به وما يحبه وما يكرهه[3]. فنحن بالطبع لسنا كائنات تخاطرية. فعلى الرغم مما توصل إليه الإنسان في العصر

الحالي من اختراعات مذهلة فهو لم يكتشف بعد جهازا منظاريا معرفيا 'cognoscope' يوصله إلى قراءة حالة الآخرين الذهنية والعاطفية. لذا علينا الاعتراف بعدم قدرتنا على النفاذ إلى ذهن الآخرين[4]. وبالتالي فإن أي معرفة بدواخل الآخر تظل معرفية تخمينية وافتراضية لا توصلنا إلى نتائج يقينية[5]. ومع ذلك نجد هذا الإنسان يتحدث بأدنى حرج وبشكل أحيانا إدعائي [6] عن هموم الأخر ورغباته وأحاسيسه ومواقفه ونواياه ومقاصده.

غني عن البيان كون الإنسان يجازف في مناسبات عدة للحديث بلسانه عن هواجس الآخرين وهمومهم ورغباتهم. كما نجده مهووسا بالتساؤل عما يفكر فيه هؤلاء ومهتما بالكشف عن نواياهم وطبائعهم. إذ نجده يستنفر مجهودا معرفيا كبيرا من أجل البحث عن إجابات وإن كانت غير يقينية عن أسئلة ذهنية من قبيل: هل الآخر صادق في طبعه أم مخادع؟ جشع أم معطاء وكريم؟ هل تصرفه هذا عفوي وبريء أم قصدي ومتضمن لنيات مبيتة؟. كما نجده في وضعيات معينة، مشدود البال لمعرفة هل الآخر يشبهه في معتقداته وعواطفه وأذواقه ومقاصده. وإذا كان يشبهه، فهل سيتفق معه في مخططاته وبرامجه؟ وإذا كان الجواب بنعم فهل يمكن الوثوق به؟

ومن هنا نفهم أن المصادرة التي يركن إليها المرء في تعامله مع الآخر والتي مفادها: ما دمت أنا والآخر نتشابه في حالاتنا الذهنية والعاطفية ونشترك في أذواقنا ومواقفنا وأحكامنا فيحق لي أن أخلع عليه عدة دلالات إنسانية. ومادامت أنظر إلى هذا آخر بوصفه غريبا عني وليس بشبيهي فإنني أجد نفسي ملزما بأن أنزع عنه أية دلالة إنسانية وأصد أية رغبة لدي للتعاطف معه. وبهذا، يمكن الحكم على أن الإنسان بكونه كائنا غريب الأطوار، فهو يسند حالات ذهنية وعاطفية، ويضفي صفات إنسانية، لكيانات غير بشرية من قبيل الكيانات الميتافيزيقية، الآلات والحيوانات التي تحكمه بها علاقة ألفة وتعاطف[7]. وفي المقابل نجده ينزع تلك الحالات الذهنية والعاطفية عن أناس يختلفون عنه إما فكريا أو طبقيا أو عرقيا... أو إما تحكمه بهم عداءات معينة، إذ ينظر إليهم بوصفهم موضوعات وأشياء ليس إلا [8].

لكن السؤال الذي يطرح نفسه بهذا الصدد، متى يهتم الإنسان بقراءة أذهان الآخرين؟ أي ما نوعية الوضعيات المحفزة للمرء للاهتمام أكثر بما يفكر فيه الآخرون؟

لا شك في كون المرء كلما كان محتاجا للآخر، كلما انشد أكثر لمعرفة أذواقه ورغباته ومقاصده ومخططاته. فعندما نرغب، مثلا، في اتخاذ قرار يهم وضعية يفترض أن

نواجهها مستقبلا، فإننا سنهتم كثيرا بمعرفة الحالات الذهنية والعاطفية لقريب سبق له أن عاش تلك الوضعية. الشيء الذي يعني أن الأشخاص الذين هم في حاجة للآخرين هم أكثر ميولا لمعرفة حالات هؤلاء الآخرين الذهنية والعاطفية مقارنة بمن يتمتعون بنوع من الاستقلالية الذاتية عن هؤلاء الآخرين[9]. وبناء على هذا المعطى نفهم بأن الناس الذين يتوفرون على مراكز اجتماعية قوية والتي تتيح لهم نوعا من الاكتفاء الذاتي في عملية تدبير مشاريعهم، هم أقل مراعاة لمنظور الآخرين إن في كيفية تسييرهم لمحيطهم أو في اتخاذهم لقرارات تهم مستقبلهم، وذلك مقارنة بمن يحتلون مراكزا هشة اجتماعيا. فالأشخاص الضعاف اجتماعيا هم دائما في حاجة إلى الآخرين لتحقيق مشاريعهم وطموحاتهم وبالتالي نجدهم يعملون جاهدين للتعرف على حالات الآخرين الذهنية والعاطفية كي يكون بمقدورهم التواصل معهم والاستئثار بعطفهم ودعمهم لهم[10].

لا جدال في كون الأفراد الذين يتوفرون على قوة اجتماعية – الأغنياء مثلا- يتمتعون باستقلالية أكبر عن الآخرين في تخطيطهم لمستقبلهم. الشيء الذي يقلص من مستوى انفتاحهم على وجهات نظر الآخرين. لكن هل يعني ذلك الجزم بشكل قطعي واعتماد المصادرة التي انتهينا إليها سابقا ومؤداها أن هناك علاقة تضايف دالة بين قوة الفرد الاجتماعية وقصوره في قراءة أذهان وعواطف الآخرين؟

نلفت الانتباه، بهذا الصدد،إلى ما خلصت إليه جملة من الدراسات الميدانية من إمكانية توفر من يتمتع بقوة اجتماعية، بدوره، على كفاءات نوعية لقراءة أذهان الآخرين وعواطفهم[11]. بحيث، ووفقا لمعطيات ميدانية، تم التوصل إلى أن الشخص النافذ والقوي اجتماعيا، يرغب أحيانا كثيرة، في تحقيق مستوى معين من التقدير الذاتي، وذلك من خلال إتاحته الفرصة للآخرين لامتداحه والافتخار به. ولكي يتمكن من إشباع إحساسه بالتقدير الذاتي هذا، فهو يتخلى، وإن بشكل مؤقت، عن أنانيته و تمركزه حول ذاته في تعامله مع للآخرين. ويشرع في المقابل في الإنصات لهموم الآخرين ومشاكلهم والتفاعل معهم والتعاطف مع معاناتهم[12]. وعلينا أن لا ننسى، كذلك، أن قوةالفرد الاجتماعية لهي قائمة، في جملة من السياقات، على مدى تمتعه بكفاءات متقدمة في قراءة أذهان الآخرين و عواطفهم قصد التحكم فيهم وتسخيرهم لأغراضه الشخصية[13].

إغناء لما سبق، نود التنبيه إلى أن كفاءة قراءة أذهان الآخرين وعواطفهم لا ترتبط بعاملي القوة و الهشاشة الاجتماعيتين فقط، وإنما ترتبط كذلك بنوعية التنشئة الثقافية والاجتماعية التي حصلها الفرد. فعلى مستوى المحيط الأسري توصل الباحثون إلى أن الطفل الذي لديه إخوة أقدر ممن هو وحيد والديه على قراءة أذهان الآخرين وعواطفهم[14].

كما أن الأطفال الصم البكم الذين أهتم آباؤهم بتنمية لغة الإشارات لديهم أثناء تحاورهم معهم هم أكثر قدرة على التعرف على حالات الآخرين الذهنية العاطفية ممن لم يحظوا بهاته الرعاية[15]. أما على مستوى المجتمع فعلينا التمييز بين مجتمع محكوم بثقافة فردانية تعزز لدى المرء الميول نحو استقلال أناه عن الآخرين واعتماده كليا على نفسه؛ إن في حله لمشاكله أو في إعداده لمشاريعه. كما تربيه على مصادرة مؤداها أن أي جهد يبدل لمساعدة الآخر سيشكل لا محاله ضربا من المجازفة غير المحسوبة والتي قد تؤثر سلبا على مختلف الإمكانيات التي استنفرها في مشروعه الشخصي (الثقافة الغربية نموذجا). ومجتمع آخر ينشئ أفراده على قيم تعاونية وذلك من قبيل: علاقة الاعتماد المتبادل وتوقف البعض في معيشه على البعض الآخر والمشاركة الجماعية وتغليب مساحة الفضاء العام المشترك على الفضاء الشخصي.

وهكذا يفترض في أن يكون أفراد المجتمعات التشاركية أكثر اهتماما بمنظور الآخرين ووجهات نظرهم وأكثر إدراكا لحالاتهم الذهنية والعاطفية، وذلك مقارنة بالمجتمعات الفردانية حيث نجد المرء ملتهما كليا في التفكير في حالاته الذهنية الذاتية وأموره الشخصية وغير مبال بمعرفة الآخر. الشيء الذي يؤثر سلبا على تنمية كفاءته في قراءة أذهان الآخرين وعواطفهم [16].

وتجدر الإشارة هنا، إلى دراسة تجريبية لكل من وين وكيسار قدما فيها لعينة مكونة من أشخاص ينتمون لثقافات جماعية وآخرين ينتمون لثقافات فردية جملة من التعليمات لإنجاز مهمة ما. فلوحظ أن أصحاب الثقافة الجماعية، على عكس المنتمين إلى الثقافة الفردانية، يهتمون بحركات عيني مقدم التعليمات وحركاته الجسدية ويحاولون الكشف عن نواياه ومقاصده[17].

إن الآخر في فلسفة سارتر عبارة عن مرآة تكشف لنا صورتنا الشخصية. فيكفي أن ينظر إلي هذا الآخر لأعرف من أكون وما سأكون عليه مستقبلا [18]. يبدوا أن هذا التصور الوجودي، لا يخرج عما انتهت إليه بعض أطروحات المعرفية الاجتماعية الحديثة من كون تعرفنا على حالات الآخر الذهنية والعاطفية يمكننا من توقع الحالات الذهنية العاطفية التي سنكون عليها مستقبلا[19]. بعبارة أدق يبني الفرد تصوره لحالاته الذهنية المستقبلية من خلال ما رصده من معطيات أثناء قراءته لحالات الآخرين الذهنية والعاطفية[20]. وهكذا برجوعنا إلى فلسفة سارتر [21] يصبح الآخر تلك الأنا المفترض أن أعيشها مستقبلا. وهنا تتجلى أهمية قراءة أذهان الآخرين في تمكيننا من استباق الزمن والتعرف على الحالات الذهنية والعاطفية المتوقع أن نكون عليها مستقبلا. فكون الناس محكومين بهاجس

السؤال عن حالتهم الذهنية والعاطفية والكيفية التي سيكونون عليها مستقبلا- بمعنى هل سيكونون سعداء وفي وضعية مريحة أم سيعرفون ظروفا صعبة ومقلقة؟! - فهم يتخذون جملة من القرارات التي يعتقد أنها ستفيد وضعهم المستقبلي؛ وذلك من قبيل أن يقدموا على الزواج أو يقبلوا عملا ويستقلون عن آخر أو ويدخروا بعض المال يعينهم على التقاعد. وفي واتخاذهم لمثل هاته القرارات يعمدون على استقراء وضعيات عاشها الآخرون[22]. وهم في ذلك يعتمدون نوعا من التعلم غير المباشر: أي أنهم يتعلمون من حالة الآخرين الذهنية والعاطفية أمام مشكلة ما، طبيعة الاحتياطات الممكن اتخاذها إذا ما واجهوا نفس المشكل مستقبلا [23].

زد على ما سبق، تتجلى أهمية الأنشطة القرائية لحالات الآخرين الذهنية والعاطفية في كونها تدعم بشكل إيجابي عملية التواصل لأنها تسمح بفهم مضمر ما قاله الآخر وما يتوجب علي قوله له. فنجاح العملية التواصلية مرتبط بمعرفة حالات الآخر الذهنية ومقاصده ونواياه أكثر من الإتقان الجيد للغة التخاطب [24]. كما لا يفوتنا التأكيد على الدور الفعال لهذه الأنشطة القرائية لأذهان الآخرين في كيفية تدبير وتسيير مهام ووظائف أفراد جماعة ما. فالتعرف مثلا ضمن جماعةw عمل معينة على من يعرف ماذا؟ "Who knows what" يؤدي بنا إلى رصد من هم أكثر خبرة لأداء مهمة ما، وذلك وفقا لقاعدة وضع الرجل المناسب في المكان المناسب. ونكون بالتالي، بصدد تشغيل ذاكرتنا التفاعلية Transactive memory[25] التي تعمل على تخزين واستذكار سمات الأشخاص الأكثر خبرة لإنجاز مهمة ما. هكذا وبناء على مدى فعالية تلك الذاكرة نتمكن من اتخاذ القرارات المناسبة والفعالة وفي وقت وجيز[26].

وتتضح أهمية قراءة أذهان الآخرين، كذلك، أثناء عمليات التفاوض بين المجموعات. فتعرف كل مجموعة عن رغبات المجموعة الثانية واختياراتها يسهل من مهمة حل المشاكل العالقة بين المجموعتين، مع اقتصاد في الوقت وفي الجهد المعرفي[27].

إجمالا سواء على مستوى العلاقات القائمة بين الأفراد أو بين المجموعات إن تعرفنا على رغبات الآخر أثناء قراءتنا لحالاته الذهنية وإمساكنا بمنظوره الشخصي(Perspectivetaking)[28] حول الموضوعات المطروحة فيما بيننا، يؤدي بنا في الغالب الأعم إلى التقارب أكثر معه. ولكن حري بالتنبيه، إلى أن عملية الإمساك بمنظور الآخر قد تعيق أحيانا عملية التواصل لكونها تكشف عن نوايا الآخر الأنانية والعدائية اتجاه محاوره أو اتجاه موضوع التفاوض[29]. ومع ذلك لا يمكن الاستغناء عن المعلومات التي توفرها لنا عملية قراءة أذهان الآخرين بشكل عام أو عملية الإمساك

بمنظورهم الشخصي بشكل خاص في تضبيطنا للعلاقة البنينذاتية التي تجمعنا بهؤلاء الآخرين ومراقبتها وتوجيهها. فالشروع في الانخراط في علاقة تعارف مع الآخر ليس بالأمر السهل والعفوي ولا بالأمر المباشر والتلقائي. إذ لا يمر دائما في أجواء هادئة، فهو محاط بجملة من الطقوس العلائقية المركبة وعدم احترامها سيؤدي لا محاله إلى خلافات وخصومات مع الآخر[30].. ومن هنا فمعرفتنا فيما يفكر فيه الآخر والتعرف على حالاته الذهنية والعاطفية سيسمح لنا بالتعرف على تلك الطقوس التي يؤثث بها فضاءه مع الآخرين والتي يتوجب علينا احترامها أثناء تواصلنا معه. كما سنتمكن من تضبيط عملية تواصنا معه وتوجيهها نحو غايات حددنها سلفا. زد على ذلك سنتمكن من تحقيق نوع من الاقتصاد التواصلي (L'économie communicative) المتمثل في تركيزنا في حديثنا معه على نقط التلاقي بين انتظاراتنا و انتظاراته، دون أن نهدر طاقتنا المعرفية في اللغو والكلام الفارغ الذي لا يفيد مقاصد كلينا من عملية التواصل [31].

معلوم أن غايتنا من عملية التواصل لا تنحصر في الإخبار فقط ولكن التأثير في الآخرين والتحكم فيهم وإبراز ذاتنا أمامهم وجذب اهتمامهم والدفاع عن مواقفنا الشخصية [32].وهنا، لا يمكن بأي حال من الأحوال، وسم مقصدنا من معرفة ما يروج في ذهن الآخر بسمة النبل والبراءة. إذ أننا لا نبتغي دائما وراء اجتهادنا في البحث عن مكنونات الآخر الذهنية والعاطفية بناء صداقة معه ولا مساعدته على الخروج من مشكلة نفسية، وإنما تحركنا في الكثير من الأحيان غايات ذاتية مصلحيه. منها ما هو طبيعي فينا ولا يثير إشكالا أخلاقيا حقيقيا، وهو عامل الرغبة في إثبات الذات والاستئثار بإعجاب الآخر. وإن كنا نحجم، في غالب الأحيان، عن الاعتراف للآخرين بكون هذا العامل هو الذي يشكل، في حقيقة الأمر، حافزا قويا لرغبتنا في التعرف على حالاتهم الذهنية والعاطفية.

فالشخص قبل البدء في التحاور والتفاوض مع الآخر، يشرع في محاولة التعرف على حالات هذا الآخر الذهنية والعاطفية ليؤثر فيه من جهة و ليحضى بإعجابه من جهة ثانية، وبخاصة إذا كان مهما بالنسبة له. وإذا كان كذلك فسيحاول ما أمكن أن يكيف ما يود بسطه من أفكار مع انتظارات هذا الآخر ورغباته وأذواقه. متسائلا في ذلك؛ أثناء وبعد العملية التواصلية هل ترك انطباعا إيجابيا لديه وهل كان محط إعجابه. و يؤكد كوفمان، بهذا الصدد أن رغبتنا في معرفة الأخر يحركها رهان أساسي وهو رغبتنا في أن نموضع ذاتنا أمامه[33](Positionnement de soi) . ويتلخص هذا الرهان في كوننا نود معرفة ما يفكر فيه الآخر لنستبين حدود فضائه الشخصي التي علينا احترامها وعدم

تخطيها دون إذنه. ولنعرفه كذلك، بحدود فضائنا الشخصي التي عليه بدوره احترمها. وبهذا يكون بمقدورنا معرفة إلى حد كبير ما يجب قوله للآخر والطريقة المثلى لقوله وما يجب التحفظ فيه وعدم البوح به. وغايتنا في ذلك التأثير فيه وأسره بقوة شخصيتنا وتسويق صورة نموذجية ومثالية لذاتنا، والتمكن من الدفاع عن هويتنا الشخصية، وإقناعه بوجهات نظرنا .وبعبارة أدق، إن الهدف من قراءة حالة الآخر الذهنية والعاطفية الرفع من مستوى الربح والتقليص من هامش الخسارة. فعندما أعرف ميولات الآخر وقناعاته و تعاطفاته وما يحب وما يكره، فإنني سأنتقي كلامي وعبارتي لتنسجم مع انتظارته. وبالتالي لن أجازف بقول شيء يزعجه ويجعلني أدخل في خلاف مباشر معه. كما أني لن أخاطر بالكشف له عن أسراري الشخصية والتي من الممكن أن يستغلها يوما ما ضدي. هكذا فإن الغاية من آخذ الحيطة والحذر في التعامل مع الآخر هو الابتعاد ما أمكن عن الخسارة وتحقيق أكبر قدر من الربح إما مادي (التمكن من إنجاز مشروع ما بدعم من الآخر) أو رمزي؛ (مثل أن أظل موضع رضا من طرف الآخر)[34].

وبناء على ما سبق نؤكد أن الرغبة في معرفة حالات الآخر الذهنية والعاطفية تحركها مجموعة من الحاجيات الذاتية، منها وكما أسلفنا1/ حاجتنا لأن نظل موضع اهتمامه واحترامه وأن تأخذ وجهة نظرنا بعين الاعتبار وان يفضلنا على الآخرين في تعامله معنا 2/ حاجتنا لمراقبة علاقتنا مع الآخر وتتمثل في وضعنا لجملة من المعايير التي نسمح –أو لا نسمح – من خلالها للآخر أن يلج فضاءنا الشخصي وينخرط معنا في علاقات حميمية. وتتجلى كذلك في المجهود الذي نبذله للحفاظ على تلك الصورة الإيجابية لشخصنا التي صغناها في ذهن الآخرين، أي الحفاظ على سمعتنا الطيبة لدى الآخرين 3/ حاجتنا للتميز: بمعنى نهتم بقراءة أذهان الآخرين وعواطفهم لنستطيع إقناعهم بكوننا نتمتع بشخصية متميزة عن بقية أفراد المجموعة مثلا، وأن عليهم تقبلها بوصفها أنموذجا يحتدى به. 4/ حاجتنا للاندماج: ننتظر من معرفتنا بحالة الآخرين الذهنية والعاطفية أن نكسب ودهم وثقتهم ليسمحوا لنا بالانخراط في فضاءات انتمائهم (حزب، جمعية...) وأن يتم التعامل معنا لا كدخلاء ولا كمبتدئين وإنما كأناس لديهم حظوة أو على الأقل يتم النظر إليهم على قدم المساواة مع بقية أفراد الجماعة[35].

ارتباطا بما سبق ذكره، نود الإشارة إلى غاية أخرى تتميز بكونها، بخلاف سابقتها، تطرح إشكالا أخلاقيا حقيقيا يتمثل في الاستثمار الماكيافيلي للآخر بناء على المعطيات التي جمعنها من قراءتنا لحالاته الذهنية والعاطفية[36]. فلا يخفى على أحد الكلام المأثور عن ماكيافيل [37]في كتابه الأمير والذي وضح فيه لمن يرغب في أن يظفر بأصدقاء كثر وحلفاء

مهمين،عليه أن يدعي، أولا،الاستقامة في سلوكه والنزاهة في مواقفه وأن ينظر،ثانيا، إلى الأشياء لا وفقا لمنظوره الشخصي ولكن بناء على وجهات نظر الآخرين ورغباتهم واختياراتهم. وهنا يطرح علينا إشكالا بين ذاتي حقيقي، مفاده؛ هل تود من خلال رغبتك في التواصل مع الآخر ومن خلال إصرارك على معرفة حالاته الذهنية العاطفية أن تظل وفيا لذاتك ولقناعاتك ومواقفك أم أن همك الوحيد أن تظل موضع إعجابه وذلك بمجاراته في معتقداته وتصوراته، إذ من الصعب الجمع بين المعادلتين. فاختيارك أن تظل موضع إعجاب الآخرين يحيل إلى ما يسميه Mark Synder بالشخصية القوية في مراقبتها الذاتية (good self monitoring) وتتميز بكونها تعمل، من خلال معرفتها ببواطن الآخرين، على تكييف وجهات نظرها مع مواقفهم وقناعاتهم واتجاهاتهم. فهي تتحدث لغة تتماشى و انتظارات الآخرين ورغباتهم. كما أنها تتميز بكونها شخصية منفتحة على الآخرين. فهي تعمل جاهدة على فهم طبائعهم واستيعاب ميولاتهم وأذواقهم. ومن هنا نجدها تستنفر طاقة معرفية أكبر مقارنة بغيرها لقراءة أذهان الآخرين وعواطفهم. وتتميز، كذلك، بكونها تتقبل إمكانية مراجعة قيمها والتفاوض حول هويتها لإرضاء الآخرين. فهي تعمل على حل خلافاتها مع الآخرين لا بالمواجهة والحزم وإنما عن طريق التسويات (Les compromis) والتراضي. وبالرغم من كون هذا النمط من الشخصية مقبولا ومحبوبا من طرف أغلب الناس ومحط إعجاب حتى الخصوم أحيانا[38].فهو يتميز بكونه برغماتيا نفعيا و مصلحيا. إذ نجده يعمد لذكائه الماكيافلي للتخطيط في كيفية تسخير الناس لتحقيق أهدافه الشخصية ومطامعه الذاتية[39]. وعلى النقيض من ذلك نجد الشخصية الهشة في مراقبتها الذاتية (Bad self monitoring) تناضل لتظل منسجمة مع قناعتها الأخلاقية ومبادئها. فهي تتصرف دائما لا وفقا لرغبات الآخرين وانتظاراتهم ولكن وفقا لمنظومة القيم التي تؤمن بها بشكل صارم وغير قابل للتفاوض. الشيء الذي يجعل منها شخصية اصطدامية وغير مقبولة من طرف الآخرين ومنكمشة على ذاتها ومحدودة في علاقاتها الاجتماعية. ومادامت على هذا النحو فستظل أقل اهتماما بقراءة أذهان الآخرين عواطفهم[40].

إن فعل قراءة أذهان الآخرين وعواطفهم مرتبط بثلاث عمليات معرفية مركزية وهما الفهم والتواصل والتنسيق لغرض التوقع.

ونعني بعملية الفهم خلع الذهن المعنى على جملة من السلوكات والانفعالات الملاحظة لدى الأفراد لاستنباط الحالات الذهنية والعاطفية التي تتوارى وراءها[41].وبالنظر لكون الإنسان كائنا إضماريا فإن حاجتنا لفهم دلالات ومقاصد حالاته الذهنية والعاطفية تظل

قائمة، ولاسيما أن تصرفاته وسلوكياته لا تعكس في اغلب الأوقات حقيقة ما يفكر فيه. كما أن تحليل كلام الآخر لا يمكننا دائما من معرفة حقيقة ما يخفيه في ذهنه. فمعلوم بحسب مدرسة بول أولتوا أن نفس الملفوظة تحمل أحيانا معانيين مختلفين احدهما مضمر والآخر صريح. فمثلا قول شخص لآخر"سلوكك هذا ينم عن ذكاء باهر" يفهم منه معنيين مختلفين: الأول إنشداد المتكلم إلى هذا السلوك وإعجابه به، والثاني أن في كلامه هذا ضربا من التهكم[42]..

زد على ما سبق، نود الإشارة إلى أن من الصعوبات التي تطرح لفهم حالات الآخر الذهنية والعاطفية اعتمادا على منطوقه، كون العلامات اللسانية المعتمدة في أي رسالة شفهية تكون متعددة الدلالات ..Polysémique فمثلا كلمة بياض تحيل إلى اللون كما تحيل إلى النقاء والطهارة والبراءة والصفاء[43]. ومن هذا المنظور، علينا أن نقر بكون قراءة أذهان الآخرين اعتمادا على منطوق المتكلم هي عملية معقدة. فالأمر هنا يشبه مشاهدة فيلم بلغة أجنبية لا نعرفها فنشرع في عملية تأويل مقاطعه وإسقاط معان ذاتية على مختلف مشاهده. آملين من خلال ذلك أن نصل إلى مضامينه الحقيقية. وبناء عليه، نفهم أن الإنسان يلجأ إلى الفهم لكونه يرفض حالة الغموض وللانتظام التي تشكل وضعيات غير قابلة للتوقع. ولتجاوز تلك الوضعيات يضفي المعنى عليها.

هكذا، نرى أن العلاقة الاجتماعية التواصلية بين شخصين تبنى من خلال كيفية فهم كل شخص لحالات الآخر الذهنية والعاطفية والتي تنتهي إما إلى صياغة حكم إيجابي حول الآخر، وبالتالي الثقة فيه والتعاون معه أو العكس إصدار حكم سلبي في حقه، مما يترتب عنه عدم الثقة في شخصه والدخول معه في ضرب من الصراع الحاد والمنافسة الشديدة[44].

وفيما يخص عملية التواصل فهي تظل وثيقة الصلة بأنشطة قراءة أذهان الآخرين وعواطفهم. فمعرفتنا بحالات الآخرين الذهنية لا تمكن من معرفة ما يبتغيه الآخرون من أفعالهم فقط ولكن ما يقصدونه من أقوالهم، وما علي بدوري أن أقوله لهم. وبالتالي إن فشل أي عملية تواصلية مرتبط بقصور في فهم حالة الآخر الذهنية والعاطفية ونجاحها ذي صلة بالأخذ بعين الاعتبار رغبات الآخر، معتقداته نواياه ومقاصده[45]. بحيث أن المعلومات المقدمة للمتلقي والتي تمس فضاء اهتمامه ولا تتناقض مع مرجعياته الثقافية ومعتقداته تخزن في ذهنه وتفهم بسهولة ويسر. وينصح، بهذا الصدد، اعتماد مبدأ التصميم المتفائل الذي يتلخص في الإبقاء فقط على المعلومات التي تنسجم مع تصورات ومعتقدات المتلقي [46] .principle of optimal design إذ وتبعا لأطروحة التنافر

المعرفي لـ[47] Leon Festinger (Dissonance cognitive)؛ يميل المرء إلى أن يلغي من ذهنه كلما من شأنه أن يتضارب مع معتقداته. ومن هنا فكون المتحدث قادرا على قراءة ذهن المتلقي فهو عارف بما يعرفه المتلقي وما لا يعرفه وهو كذلك مدرك تمام الإدراك ما على هذا المتلقي معرفته وما عليه عدم معرفته[48]. أي باستطاعته تشخيص مستوى المعارف لديه (مستواه المعرفي، تخصصه العلمي، معارفه المسبقة) (Knowledge gap)[49]. وفي مقابل ذلك،يعمل المتلقي، بدوره على تبيان النيات والمقاصد الكامنة وراء كلام مخاطبه. فلا يمكن، بهذا الصدد، وسم المتلقي بالذات السلبية التي ينحصر دورها في تخزين المعلومات المقدمة من طرف المتكلم وإنما يخضعها لعملية الغربلة والتصفية والانتقاء بحسب أهميتها بالنسبة إليه. فمعلوم بأن الإنسان قادر على الإنصات أكثر إلى الخبر الذي يمس مجال اهتمامه وإن كان، ذاك الخبر، خافتا بسبب الضوضاء[50]. كما أن المصادرة القائلة بأن مواقف المشاهد تتأثر بشكل سلبي بالأخبار التي تبثها وسائل الإعلام السمعية البصرية لهي مسألة فيها نظر، فقد بينت دراسة لـ Lazrsfeld لله katz أن أغلب المشاهدين يستدخلون المعلومات وفقا لنموذج معالجة المعارف المزدوج الخطوات (Two steps model) والذي بموجبه يستوعبون تلك المعلومات وفقا لقناعتهم ومعتقداتهم ووجهات نظرهم الشخصية وتبعا لفضاءات انتمائهم الطبقية والحزبية والمهنية[51].

إجمالا ومن خلال المعطيات السابق ذكرها يتبين لنا، ما مدى ارتباط عملية التواصل بكفاءة قراءة أذهان وعواطف الآخرين. وبهذا الصدد كشفت جملة من دراسة لهار Hare أن ارتقاء الأنشطة اللغوية لدى الطفل متضايفة مع التقدم الحاصل في قدرته على قراءة حالة الآخرين الذهنية والعاطفية[52]. فالأطفال الصم البكم الذين لم يعمل آباءهم على تطوير لغة الإشارات لديهم، يعانون من صعوبة في قراءة أذهان الآخرين وعواطفهم[53].

يبدوا جليا، مما سبق بسطه من أفكار، أن لسيرورة فهم حالات ذهن الآخرين دور إيجابي في تدعيم عمليات التواصل. ونثير الانتباه، كذلك، إلى أن لقدرة الفرد على التنسيق بين علمية فهمه لحالات الآخرين الذهنية وعملية التواصل معهم لها أهميته جمة على مستوى تمكينه من توقع سلوكات الآخرين وحالاتهم الذهنية المستقبلية[54]. فالتفاعلات الاجتماعية تشبه أحيانا كثيرة لعبة الشطرنج واعتماد معرفتنا بحالات الآخرين الذهنية لتوقع سلوكاتهم سيسمح لنا بالتحكم في مسار تلك اللعبة. وهنا نود أن نوضح أننا عندما نربط بين القدرة على قراءة حالات الآخرين الذهنية وفعل التوقع، فإننا لا نقصد بذلك، تلك البصيرة السحرية التخاطرية الخارقة للعادة التي رسمتها في أذهاننا السينما الهوليودية. ولكن ما نطمح تبيانه كون الإنسان عندما ينسق بين ما يعرفه

عن أحوال الآخرين وحالاتهم الذهنية والعاطفية والسياق التواصلي الذي يجمعه بهم، وذلك بطرحه مثلا السؤال التالي، لماذا قام فلان بذاك الفعل؟ ولماذا قال ذاك القول؟ يتمكن من وضع سلسلة من الاحتمالات التوقعية الممكن أن يتحقق جزء منها مستقبلا. ومعلوم أن دماغ الإنسان أكبر بثلاث مرات عن دماغ الحيوان، و لربما هاته ميزة من بين أخريات تجعله ممتلكا لعدد من القدرات الخلاقة، الغائبة لدى بقية الثدييات ومنها قدرته على التوقع[55].

إن المرء قد يخطئ أحيانا و قد يصيب أحيانا أخرى عندما يحاول خلع المعنى على بعض حالات الآخرين العاطفية الكامنة وراء تصرفاتهم من رغبات وهواجس. بل الأكثر من هذا، فهو يظل مجازفا عندما يتحدث بلسانه، وبدون أدنى حرج، عن معتقدات هؤلاء الآخرين، تصوراته و همومهم مدعيا في ذلك كونه يمثلهم ويمثل قضاياهم ومعاناتهم أفضل تمثيل[56]. ويتجلى نزوعه للمجازفة كذلك في إسناده حالات ذهنية وعاطفية لوكلاء غير بشريين (آليات، حيوانات، كائنات ميتافيزيقية). فإذا ما راجعنا سلوكاتنا اليومية سنجد أننا كثيرا ما أنسنا كثيرا من الجمادات، وذلك من قبيل أن نغضب على حاسوبنا لأنه تعطل أو نقوم بركل سيارتنا لأنها توقفت فجأة عن السير[57].

حري بالتذكير بهذا الصدد، كوندرجة حميمية العلاقة التي تجمعيني بشخص ما، إلى حد اعتقادي كونه شبيها بي، تدعوني إلى قياس حالاته الذهنية العاطفية على حالاتي وذلك من أجل فهم سلوكاته وتبرير تصرفاته. ولكن في حالة ما اعتبرته هذا الآخر غريبا عني، فإن تلك المسافة النفسية التي أضعها بيني وبينه، تجعلني ألغي عنه أي وجه من أوجه التشابه مع شخصي. ومن هنا فإنني لن أبدل أي مجهود ذهني لمعرفته ولن ألجأ بالطبع لإستراتيجية التقييس لفهم حالاته الذهنية والعاطفية التي هي مكلفة من الناحية المعرفية والتي ادخرتها لمعرفة المقربين مني و من يشاطروني أفكاري ومعتقداتي فقط وإنما ألجأ إلى إحكام جاهزة ومسبقة وإجابات نمطية لتعريف هذا الأخر الغريب والمختلف عني. وبالتالي فإن تشغيل هذا النمط من التفكير لن يكلفني أي مجهود معرفي.

خلاصة القول، يعتمد الإنسان لمعرفة الآخر أحيانا إستراتيجيات غير مكلفة معرفيا، وذلك من قبيل لجوئه إلى الإشاعات والأحكام الجاهزة والنمطية والأفكار المسبقة التي استقاها من المجتمع. وأخرى مكلفة من الناحية المعرفية والمتضمنة لإستراتيجيتين أساسيتين الأولى إستراتيجية التقييس أو المحاكاة ومؤداها الاعتماد على الحالات الذاتية بوصفها مقياسا للتعرف على حالات الآخرين الذهنية والعاطفية. وإستراتيجية التنظير الحدسي والتي تفيد أن الإنسان،وإن لا ينتمي إلى فئة النخب المثقفة، في مسار تعرفه

على الآخر،ومثل أي باحث في أي تخصص علمي ما، يصيغ فرضيات حدسية حول حالات الآخر الذهنية، وليتحقق من مدى مصداقيتها يستدل بجملة من المعطيات التي استقاها من وقائع معيشة. وبهذا فهو يبني نظريات سيكولوجية ساذجة حول الآخر وتصرفاته والتي يعمد إليها لتعميمها على جملة من السياقات والوقائع[58].

حسب أصحاب النظرية التقييسية إن حل إشكال كيفية قراءة أذهان الآخرين لا يتحقق إلا باعتماد حالاتي الذهنية الشخصية وتقيسها على حالاتهم الذهنية. وذلك بناء على معطى سبق وأن أكده الفيلسوف راسل مؤداه؛ ما دام سلوك الآخر شبيها بسلوكي فإنني افترض أن الأسباب المؤدية لتلك السلوكات متماثلة[59].

وبهذا الصدد نجد الإنسان يلجأ إلى نوع من الاستبطان الداخلي المتمثل في قيامه بفحص دقيق لأحاسيسه وعواطفه الداخلية ومعارفه حول ذاته وحول تجاربه الخاصة، مشكلا بذلك قاعدة بيانات تسمح له بالاستدلال على مقاصد الآخرين ونواياهم وعلى فهم الحالات العاطفية التي تتوارى وراء انفعالاتهم[60].

وفي السياق ذاته، يبسط لنا الفيلسوف مالبرانش اعتمادا على مفهومه"العودة للذات لمعرفة الآخرين الصورة التوضيحية التالية: مادمت أجد نفسي عاجزا عن الخروج من الذاتي لولوج ذوات الآخرين، فإنني ألجأ إلى عملية القياس بواسطة المماثلة للتمكن من معرفتهم. ومن مأثورات مالبرانش في تفسيره لما يعنيه بالقياس بواسطة المماثلة قوله «مادام الآخر يهتم بي كثيرا فهو قطعا يحبني، إذ سبق لي أن اهتممت بالآخرين بهذا الشكل فكنت، بالطبع، أحبهم. إنها تجارب داخلية سبق لي أن عشتها».[61]..

هكذا عند الحديث عن عملية القياس بواسطة المماثلة نكون في خضم نظرية المحاكاة theory simulationالتي كشفت على أن المرء بوجه عام يميل إلى ضرب من التمركز حول الذات في استقصائه حالات الآخرين الذهنية والعاطفية.ويتجلى هذا الميول بوضوح في كون السواد الأعظم من الناس يعمدون إلى إسقاط عواطفهم الشخصية على الآخرين لمعرفة نواياهم ومقاصدهم[62]. ومرد اعتماد المرء على ذاته لتعريف الآخرين إلى اعتقاد راسخ في ذهنه مستمد من التشابه البيولوجي القائم بين أفراد النوع البشري والذي يوحي بكون مختلف حالات الأشخاص الذهنية ومعتقداتهم وعواطفهم متشابهة. وبالتالي فإن فهم أي شخص لذهن الآخر لا يتحقق إلا برجوعه إلى نظامه الذهني الذاتي. بمعنى لفهم الآخر علي قياس حالاته الذهنية والعاطفية على حالاتي الذهنية والعاطفية وذلك اعتمادا على إستراتيجية التفكير في الذات (Self-reflectionstrategy) والتي تتلخص في

قيامي بنوع من الاستبطان الداخلي (Introspection) الذي سيمكنني من التعرف أولا على مختلف حالاتي الفكرية والعاطفية وإدراكي لتمظهراتها السلوكية والانفعالية. والعمل بعد ذلك على إسقاط (Projection) ما استخلصته من معرفة حول حالاتي الذاتية على الآخرين لكي أستطيع فهمهم ومعرفة نواياهم ومقاصدهم[63].

وبشكل عام إن لعملية القياس بواسطة المماثلة وجها إنسانيا إيجابيا يجد مضمونه في كونها تحفز المرء المقيس على طرح السؤال التالي لفهم تصرفات الآخرين: ماذا كنت سأفعل لو كنت في نفس وضعية الآخر وأواجه نفسه ظروفه؟ إن الإجابة عن هذا السؤال ستمكن الفرد من تفهم أوضاع الآخرين و معاناتهم و البحث أحيانا عن أعذار لتصرفاتهم[64].. وبحسب دراسات حديثة يمكن اعتبار عملية القياس بواسطة المماثلة مصدرا أساسي المختلف أشكال تعاطفاتنا مع الآخرين[65].

لكن يبقى أن نشير إلى أن المرء يكتشف أحيانا حدود عملية القياس بواسطة المماثلة في تعرفها على الآخر لكونها تتضمن انحيازا مفرطا نحو مركزية الذات والتي تنتهي إلى اعتبار أذواق الآخر وأحكامه ما هي إلا انعكاسا لأذواق الأنا وأحكامها[66].ويشرع في المقابل في استدعاء معطيات موضوعية لفهم الآخرين. وهذا ما تسميه أنيكا ولين بالانحياز (RealityBiases) الواقعي الذي يمكن الأشخاص من بناء نظريات تفسيرية وسببية حول الآخرين وسلوكاتهم[67].

كشف الفيلوسوف مالبرنش منذ 1674 كون الإنسان يلجأ إلى إستراتيجية التقييس بواسطة المماثلة لمعرفة مكنونات الآخر الذهنية والعاطفية والتي تظل بحسب نفس الفيلسوف تمثل إجراء افتراضيا وتخمينيا لا يوصلنا إلى نتائج يقينية. ومادام الإنسان يطمح دائم البلوغ مستوى معين من اليقين في إدراكه لذهن الآخر فهو يستنفر أنشطة تنظيرية تفسيرية والتي تعمل، في الكثير من الأحيان، على تعميم ما تم رصده من تصرفات ناجمة عن حالات بعض الناس الذهنية على السواد الأعظم من الناس[68].

وعليه فإن رغبة الإنسان في فهم أذهان الآخرين تحثه على الكشف عن الأسباب والدواعي التي أدت بهؤلاء إلى أن يعيشوا هاته الحالة العاطفية أو الذهنية دون سواها. وهنا يتعامل الفرد في تواصله مع الآخرين كعالم نفس أو عالم إجتماع. إذ نراه يجتهد لرصد لطرائق تفكيرهم ولتبين دلالات انفعالاتهم. والسؤال المطروح علينا في هذا الصدد: لماذا نشبه الفرد أثناء محاولته الكشف عن حالات الآخرين الذهنية والعاطفية بعالم النفس أو عالم إجتماع؟

يجيبنا هيدر Heider[69] في كون الإنسان يعتمد في إدراكه لمحيطه الاجتماعي على نفس الأسلوب المتبع من طرف الباحث في العلوم الطبيعية. إذ تحركه نزعتين أساسيتين. تتجلى الأولى في إصراره على إبراز مدى تماسك المحيط الاجتماعي واستقراره وانسجامه. فالعالم الاجتماعي وحتى النفسي في اعتقاده مثله مثل العالم الفيزيقي. فهو محكوم بقوانين وأسباب لا مخرج له منها: وأي انفعال هو نتيجة حتمية لحالة عاطفية ما، ووراء كل حالة عاطفية سبب وجيه إما نفسي داخلي أو اجتماعي/ بيئي خارجي. ومن هنا فالمرء يعمل بشكل مستمر على إسناد النتائج إلى أسباب، وعلى تفييئ حالات الآخرين العاطفية والذهنية ضمن قوائم ذهنية تجمع عناصر كل منها سمات وخصائص مشتركة.

إضافة إلى ما سبق، يميل الإنسان إلى صياغة الفرضيات حول حالات الآخرين العاطفية والذهنية. كما يعمل بشكل مستمر ودءوب على التحقق من مدى مصداقيتها، بتتبعه تصرفات الآخرين والتعرف على أساليب تعاملهم وطرائق تواصلهم. ليبقي في الأخير فقط على الفرضيات المنسجمة مع ملاحظات هو مع ما جمعه من معطيات ميدانية. وضمن ذات السياق يمكن فهم مضمون العبارة التالية الشائعة التداول: «كنت أضنه شخصا منغلقا على نفسه، منعزلا عن الآخرين، وإذا بي أجده شخصا منفتحا وجد اجتماعي».

نود التنبيه هنا إلى أن الإنسان يميل في الكثير من الأحيان وبشكل جزافي إلى إسناد الدلالات والمعنى لمختلف حالات الآخرين العاطفية والذهنية، وذلك لكي يبدو له عالمه الاجتماعي أكثر وضوحا وتماسكا وأكثر تحديدا ودقة وأقل غموضا وغرابة وخال من الشواش واللاانتظام [70]. وتأسيسا على ذلك، يبدأ في الاعتقاد بكونه قادرا على الإحاطة بمختلف المتغيرات المؤثرة في عالمه الاجتماعي وفي كيفية سيره. وهنا تبرز نزعة ثانية لدى الإنسان غايتها التحكم في العالم الاجتماعي والتنبؤ بمستقبله. وعليه، يمكن وسم الإنسان في عمله الدءوب على ابتكار تصورات اجتماعية جديدة بعالم الاجتماع أو عالم النفس الوضعي. فهو مهووس بالبحث عن الأسباب الكامنة وراء تصرفات الآخرين، إذ يرجعها إما لأسباب إثنية أو بيئية أو مجتمعية أو نفسية ويحولها إلى قوانين وقواعد ويعممها على فئات عريضة من الناس. ويعد من خلال ذلك قاعدة معطيات يعتمدها في الكثير من الأحيان لفهم والتنبؤ بتصرفات أشخاص جدد على فضائه الاجتماعي[71].

لكن مع ذلك تظل تصوراته إن في علم نفس أو علم الاجتماع توسم بالنظرية النفسية الاجتماعية الساذجة[72] أو النظرية النفسية الاجتماعية الشعبية --Folk theory [73]لكونها تبنى، أولا، من خلال عملية عقلنة -Rationalisation- أحيانا مبالغ فيها

لتصرفات الناس. حيث يتم افتراض أن وراء أي تصرف سبب ما وإذا لم يكن يتم اختلاقه. وتتأسس، ثانيا، على نوع من التداخل بين الذات والموضوع. فالإطار المرجعي التفسيري و التنظيري الذي يعتمده الفرد في دراسة لمحيطه الاجتماعي هو ذاته و أناه. فذاته تشكل قاعدة بيانات أساسية لمعرفة الآخرين[74].

مما لا شك فيه كوننا لا نلجأ لاستراتيجيه التفكير في الذات لفهم حالات الآخرين الذهنية وتوقع مقاصدهم ونياتهم إلا إذا ما اعتبرناهم شبيهين بنا وقريبين منا. وفي حالة ما إذا غربناهم عنا فإننا نركن في حكمنا عليهم إلى مصادرات جاهزة وآراء شائعة وتصورات نمطية (Stereotype opinion). ومن هنا ندرك أن قصور بعض الحالات النرجسية في فهمها للآخرين والتعاطف مع معاناتهم مرده إلى تضخم أناها وعدم قدرتها على تقييم ذاتها بشكل موضوعي وحيادي. ويترتب عن ذلك، تغييبها لإستراتيجية التفكير في الذات أثناء تعرفها على الآخرين،وعجزها عن وضع ذاتها موضع هؤلاء الآخرين لتفهم ظروفهم. وبالتالي ركونها إلى ضرب من الإجابات نمطية في تقييمها لتصرفاتهم، وذلك من قبيل إدلاؤها بالمصادرة التالية: "لم يقم فلان بأداء ما هو مطلوب منه لأنه غير كفء أو لقد تصرف بهذا الشكل لأنه شخص عدواني "[75]. ويبقى أن نشير إلى أن من بين مؤشرات استجابة بعض الحالات النرجسية للعلاج النفسي تراجع أعداد أحكامها النمطية لصالح الإجابات القياسية، بحيث تصبح الحالة أقدر على فهم ظروف الآخر والتعاطف معه قياسا على ظروفها الشخصية.

إن تغليب الأحكام النمطية (Stereotype judgment) عن الإجابات القياسية هي سلوكيات لا تخص الحالات النرجسية المرضية فقط وإنما تهم الجماعات البشرية. بحيث كثيرا هم الأشخاص الذين يعتمدون الإستراتيجية القياسية (Simulation strategy) في تعاملهم مع الأفراد الذين ينتمون إلى جماعتهم و يشاركونهم ذاكرتهم الجماعية (Mémoire partagée)[76]. لهذا نجدهم يستدعون تاريخهم الشخصي وتجاربهم الذاتية ومعاناتهم السابقة لتفهم ظروف أفراد جماعتهم والتعاطف معها. و يعتبرون،في المقابل، من هم خارج جماعتهم (Out-group) غرباء عنهم ويعمدون في تعاملهم معهم إلى ما يسميه إبرليب الإستراتيجية الازدرائية(Derogatory stratégies)، بحيث يجردونهم من جملة من السمات الإنسانية ويعتبرونهم، أحيانا، موضوعات لا ذهنية[77]. وعلى أساس من هذا، تتشكل لدى الجماعة الأحكام النمطية والمواقف العنصرية التي تصدرها، بوعي أو بدون وعي منها،بحق جماعة أخرى مختلفة عنها إما سياسيا أو إثنيا أو دينيا...

وعموما عندما يتعلق الأمر بتعريف الإنسان لشخص يعتبره غريبا عنه،يلزمه طبعه

بعدم استنفار سيرورات ذهنية تستوجب مجهودا معرفيا كبيرا. فهو، بهذا الصدد، لا يشغل عمليات ذهنية مركبة مثل عملية الاستدلال على حالات الآخرين الذهنية و العاطفية قياسا على حالاته الذاتية. وإنما يركن إلى إجابات جاهزة وأحكام مسبقة وتوصيفات نمطية في تفسيره لتصرفات هذا الآخر المختلف عنه[78]. فمثلا، في وضعيات مشحونة بالخوف والعدائية (fearful activation) يعمد عدد من الأشخاص ذوي الأصول الأوروبية إلى إسناد، وبشكل متسرع وتعسفي بعض التصرفات العدائية إلى العرب والسود[79]. كما أن المرء أي كان بطبيعته يميل في حياته اليومية إلى تفسير تصرفات شخص، غير مرغوب فيه، بإرجاعها إلى سمات ثابتة في شخصيته وليس إلى عوامل سياقية ولا إلى أسباب موضوعية. ففي حواراتنا اليومية نلاحظ، في الكثير من الأحيان، سيطرة واضحة المعالم لهذا النمط من الإجابات على تعابيرنا: كقولنا إن فلان غاضب لأن طبعه دائما غاضب، بدل قولنا إنه غاضب لكونه يمر بظروف صعبة[80].

ويبقى أن نشير هنا، إلى أن مرد هذه الأحكام النمطية كون الإنسان بوجه عام محكوم في تمثله لسلوك الآخر،بخطاطة ذهنية يطلق عليها اسم خطاطة التمركز حول أنموذج الفئة (Protocentrism): فمن خلال رصده للتشابهات القائمة بين الأحداث، ومن خلال إدراكه للعلاقات السببية القائمة بين الموضوعات، وبناء على استدخاله لسمات نماذج أشخاص أثروا فكريا وعاطفيا وأخلاقيا على مسار حياته، وتأسيسا على الذاكرة المشتركة التي تجمعه بوسطه الاجتماعي، يبني تمثلات عامة (Generic representation) تشكل بالنسبة إليه أنموذج الفئة (Prototype). وعندما يرغب في تفسير سلوك الآخرين، فهو يركن كليا إلى أنموذجه للفئة المخزن في ذاكرته[81] . وفي حالة عدم توافق سمات أولائك الآخرين مع سمات أنموذجه للفئة فسيظلون مرفوضين من طرفه.

وتجدر الإشارة إلى أن أنموذج الفئة يختلف لدى الشخص باختلاف مجتمعه ودينه وثقافته وانتمائه الطبقي و معيشه السيكولوجي. ومن هنا سيعتقد كل فرد بأن أنموذجه للفئة، والذي من خلاله يفسر تصرفاته وتصرفات الآخرين ويتوقعها هو اقدر من غيره على فهم مختلف الظواهر الاجتماعية التي تحيط به. الشيء الذي سيسقطه من جديد في ضرب من التمركز حول الذات وإنتاج المزيد من الأحكام النمطية.

تمثل غرف الدردشة ومنتديات الويب بحق وضعيات لا كفية-Disinihibitioneffect- فهي تحفز الفرد على التواصل أكثر مع الآخر وتتيح له إمكانية البوح بأشياء لا يمكنه التصريح بها في الوضعيات التواصلية الطبيعية؛ إذ نراه، فيها، أكثر جرأة على التعبير عن مكنوناته ومشاعره وأكثر إفصاحا عن ذاته. فكون تلك الغرف خالية من مختلف أشكال

الرقابة والعقاب وخالية من الممنوعات والمحرمات، فهي تسمح لهذا الأخير بالتحرر أكثر في كلامه والإفصاح عن جملة من الأمور كان يحجبها في حياته اليومية عن أقرب المقربين منه، والقيام بمجموعة من التصرفات التي كان يخجل من أدائها في السياقات التواصلية الطبيعية[82] . فنجده في الكثير من الأحيان مندمجا كليا في غرفة الدردشةوغير متحفظ في كشفه عن أسراره والتصريح بمواقفه ومخاوفه للآخرين[83] . هكذا تساهم غرف الدردشة على الإنترنيت، وما توفره من أريحية في التواصل بين الأفراد، في خلق جو من الثقة المتبادلة بين مريديها،كما تنمي بينهم الشعور بالمودة والحميمية والتعاطف. الشيء الذي يقوي لديهم حس الانتماء إلى جماعة المنتدى[84] groupe bonding.ويبلغ هذا الإحساس مداه حد إدمان الفرد على الولوج المستمر إلى تلك الغرفة واعتبار العلاقات الاجتماعية الافتراضية الناجمة عنها علاقات اجتماعية طبيعية، بحيث يصبح حضوره للمشاركة في حواراتها نوعا من الالتزام اليومي[85]. ومادمت حرية التعبير في غرف الدردشة لا سقف لها فهي تؤدي أحيانا بأشخاص ما إلى تجريح الآخرين وشتمهم والتصريح بعبارة نابية في حقهموقذفهم بكلام خارج عن منطق الأخلاق. إن هذه الفئة من الأشخاص لهي عاجزة عن القيام بهذا التصرف في الواقع الطبيعي. ولخلو غرف الدردشة من أي رقابة زجرية، فهذا يشجعها على تفريغ مكبوتاتها الدفينة والقيام بنوع من التصفية السلبية للذات-Blind Catharsis- والتي وإن كانت تحقق نوعا من الراحة النفسية المؤقتة لصاحبها ففي المقابل ستعمل على تقويض أية علاقات إنسانية إيجابية بين أعضاء الغرفة[86].

ويبقى أن نشير إلى أن ما يميز الفرد في غرف الدردشة ميوله لتعريف ذاته والتعبير عن مكنوناته أكثر من رغبته في معرفة الآخر. هكذا فنزوعه للانكشاف أمام الآخرين يجعل عملية قراءة أذهان وعواطف الآخرين ميسرة أكثر في عالم الدردشة على الويب مقارنة بالعالم الاجتماعي الطبيعي.

إجمالا مرد يسر عملية قراءة أذهان وعواطف الآخرين في غرف الدردشة لا لكونها تشكل وضعيات لا كفية فقط، وإنما لكونها تتضمن مجموعة من المواصفات نجملها فيما يلي:

- الذات المجهولة الاسم Anonymity: ليس من الضروري أن يكشف الفرد في غرف الدردشة عن بطاقة هويته الشخصية، ولكن الأهم أن يتعاون مع الآخرين ويعبر عن مكنوناته الداخلية بكل أريحية. ومن هنا عندما يجد الفرد نفسه قادرا على إخفاء هويته الشخصية وحمايتها أثناء حواره مع الآخرين. فإنه سيلغي أية مقاومة نفسية لإفراغ ما في جعبته، لينطلق نحو التعبير الصريح عن مكبوتاته ومعاناته ومواقفه والتي كثيرا

ما يتحفظ على البوح بها في حياته اليومية. إن هذا الاطمئنان الذي يسكن الإنسان في غرف الدردشة، والذي يشجعه على قول كل شيء وأي شيء، يرجع إلى إدراكه بأن الآخرين ماداموا يجهلون اسمه ومن يكون، فبالطبع ليس بمقدورهم أن يستغلوا ما باح به من أسرار وهواجس، يوما ما ضده. فكل ما قاله سيظل حبيس جدران الغرفة الرقمية[87].

إذا ما دامت هويتك ستظل مخفية وما دمت ستعتمد اسما مستعارا في دردشتك مع الآخرين فلا داعي للخوف في تعرفك عليهم ولا في تعريفك لذاتك لهم. لا معنى، كذلك، لها جس الربح والخسارة الحاضر بقوة في حساباتنا المعتادة أثناء تعارفنا على مع الآخرين في الواقع الاجتماعي. وليس هناك من مدعاة من استدعاء استراتيجيات تتطلب مجهودا معرفيا كبيرا لقراءة ذهن الآخر وعواطفه من قبيل الإستراتيجية التنظيرية التفسيرية. ولا حاجة للأحكام النمطية الجاهزة لتعريف هذا الآخر. فالمطلوب هنا إما أن تتعاطف معه وتعتمد حالاتك الذهنية والعاطفية للتعرف عليه، أي اللجوء لإستراتيجية القياس أو الانسحاب من غرفة الدردشة.

يتم الحوار في أغلب الأحيان في غرف الدردشة ومنتديات الويب دون رؤية وجوه المتحاورين ودون سماع صوتهم وإنما اعتمادا على فعل الكتابة فقط. إن غياب رؤية المحاور والمحاور هنا وغياب سماع نبراتهما الصوتية قد يوحي لكل منهما بكونه يتحدث مع نفسه. الشيء الذي يمنحهما الشجاعة الكافية للبوح بأفكار كان يحتفظا بهما لنفسيهما. زد على ذلك أن غياب الإدراك الفيزيقي المباشر للآخر، والمتمثل أساسا في جهل كل عضو شكل جسد بقية الأعضاء ونبرات صوتهم يخلق وضعيات لا كفية ممتازة لعملية التواصل[88]..

هكذا نلاحظ أن المترددين على غرف الدردشة غير حاملين لهاجس السؤال كيف يبدون في أعين مخاطبيهم وهل هم أنيقين في ملبسهم؟ وهل صورتهم الجسدية مقبولة من طرف هؤلاء المخاطبين؟ وهل نبرات صوتهم دافئة وهادئة؟ أم مزعجة ومقلقة لسامعيهم؟ إذ تظل الكتابة هي أساس عملية التواصل في منتديات الويب وغرف الدردشة وليس التخاطب وجها لوجه. الشيء الذي يضمن لمن يود التعبير عن فكرة ما عدم اعتراضه من طرف شخص ذي وجه عبوس أو متجهم قد يؤثر سلبا على إبلاغه لتلك الفكرة. بينما في الواقع الاجتماعي نجد المرء في حديثه مع الآخر متابعا بامتياز لإيماءات وجهه وحركات جسده وهمساته .فحركة رأس المتلقي التي تفيد الرفض وابتسامته الساخرة ونظراته التحذيرية قد تغير من مسار حديث المخاطب نحو وجهة نظر يرضى عنها هذا الملتقي[89].

من هنا، نرى بأن التواصل على الويب أكثر يسرا وأريحية من التواصل في الواقع

الاجتماعي المحكوم بسلطة التعبير الجسدي.

ما يميز عملية التواصل عبر شبكة الانترنيت سواء عبر الرسائل الرقمية أو من خلال غرف ومنتديات الدردشة أو المواقع الاجتماعية مثل الدفتر الورقي Facebook كونها لا تلزم المتلقي بالرد على الرسالة في الحين. فمن الممكن أن يتريث في الإجابة ويأخذ قسطا من الوقت يراه كافيا للرد والذي لربما قد لا يتعدي ثوان ودقائق أو قد يدوم ساعات وأيام. وعلى العكس من ذلك يشترط في الوضعيات التواصلية الطبيعية وبخاصة الشفهية منها والتي تتم وجها لوجه بين المرسل والمتلقي، الإجابة الفورية على الرسالة. الشيء الذي يخلق لدى هذا المتلقي هاجس الرد الآني وما يترتب عنه من وضعيات كفية لا تسمح له بالإبحار في أفكاره وتقليبها على عدة وجوه وإعادة ترتيبها وصياغتها. لتخرج تلك الأفكار إلى الوجود بشكل متسرع يلفها الغموض وعدم الوضوح، وتتخللها أحيانا فلتات اللسان وأخطاء التعبير، ويغيب عنها الإقناع وفن الإبلاغ.

وفي المقابل، يكون بمقدور أي متلقي في التواصل الرقمي أخذ وقته الكافي في الرد، وفي الكثير من الأحيان، لتجاوز عائق الخجل والخوف من مواجهة الآخر. ومادام لديه الوقت الكافي ليأخذ نفسه ويفكر مليا في الإجابةفسينظم أفكاره على مهل ويراجعها ويرتبها ويبحث عن اللفظ الملائم للتعبير عن تلك العواطف والأحاسيس العميقة التي لم يتمكن من الإدلاء بها في الوضعيات الطبيعية. كما يمكن لأي عضو من أعضاء غرف الدردشة أن يبعث برسالة رقمية تتضمن عواطف سلبية يجد نفسه حبيسها وهواجس مزعجة تؤرقه ولا يستطيع البوح بها حتى لمقربيه. وبهذا الفعل،سيغمره الإحساس بكونه قد تخلص فعلا من تلك العواطف وبالتالي نكون أمام ممارسة نفسية علاجية، تمكن الفرد من فهم انفعالاته الغامضة والوعي بها وتفريغها والخروج من حالة القلق التي يعيشها[90].

ومهما يكن من أمر، فما دام الإنسان يتجه إلى غرف الدردشة في الغالب الأعم لتفريغ مكبوتاته والبوح ببواطنه وليس لممارسة إخفاء السلوك والإضمار اللغوي، فنحن لسنا في حاجة لاستراتيجيات متقدمة ولا لعمل تأويلي دقيق ولا لمجهود ذهني كبير لمعرفة حالات الآخر الذهنية والعاطفية، وذلك لكونه أصلا يقدم حالاته الذهنية على طابق من ذهب.

إن التحاور في غرف الدردشة ومنتدياتها يعتمد في الغالب الأعم على فعل الكتابة. وبسبب أجواء الصمت التي تخلقها الكتابة ينتاب الفرد شعور بكونه لا يتحاور مع الآخرين ولكن يفكر معهم. حيث ينتابه إحساس كونه يحتوي أذهانهم. فإعجابه بأفكار الآخرين بالنظر لتناغمها مع أفكاره وتعاطفه مع معاناتهم الشبيهة بمعاناته يجعله يشعر كون تلك

الأفكار هي أفكاره وتلك المعاناة هي معاناته. وكأن هؤلاء الآخرين يفكرون ويتحدثون داخل ذهنه[91].

وإذا كنا في تواصلنا اليومي مع الآخر نقوم بإلصاق جملة من الأحكام الجاهزة والنعوت النمطية به، بناء على ملاحظتنا لطريقة حديثه وتصرفه. فإن الأمر يختلف في عالم الدردشة الرقمية الذي يخلق لنا نوعا من الإحساس بكون حديث الآخر وتصرفه هو جزء من حديثنا وتصرفنا. إذ نجد أنفسنا ننظر إلى ذواتنا من خلاله و نتماهى معه، ونعتبره انعكاسا لعوالمنا النفسية الداخلية. والأكثر من هذا ننتظر من كلامه أن يجاري كلامنا ومن أمانيه أن تكون شبيهة بأمانينا، مما يجعلنا أكثر تعاطفا معه وأكثر تفهما لمشاكله. وبهذا الصدد نعتمد نوعا من التقمص النفسي لقراءة حالات الآخر الذهنية والعاطفية والذي يتلخص في فكرة مؤداها أن نضع أنفسنا مكان الآخر لمعرفته[92].

لا خلاف في كون جل المجتمعات محكومة بمنظومة تراتبية من العلاقات إن كانت اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية والتي تمكن البعض من الناس دون غيرهم من النفاذ إلى الموارد المادية والطبيعية للمجتمع بسهولة ويسر. وترسخ تلك المنظومة في أذهان الناس اعتبار الطبقية المجتمعية والهرمية السياسية واحتكار وسائل الإنتاج في يد فئة قليلة من الأشخاص أمرا بديهيا لا محيد عنه. الشيء الذي يتيح لتلك الفئة المحظوظة نفوذا سياسيا واجتماعيا يمكنها من التحكم في الآخرين ومصائرهم. ولكن شراهتها غير المحسوبة تدعوها، أحيانا، إلى البحث أكثر فأكثر عن المزيد من النفوذ والهيمنة الاجتماعية. والنتيجة دخول بعض المستضعفين في مواجهات حادة معها. بينما يعمل البعض الآخر على التكيف مع هذا الواقع غير العادل وذلك من خلال اعتماد مجموعة من العمليات المعرفية والعاطفية التي ترسخ في ذهنهم كيفية الامتثال والطاعة العمياء للفئة السائدة وتعلمهم كيفية توقع غضب تلك الفئة وتجنب شرها[93].

وعلى العكس مما سبق لا وجود لعضو في غرف الدردشة الرقمية يتمتع بنفوذ اجتماعي أو سلطة سياسية مهيمنة على بقية الأعضاء. وذلك لكون الشرط الأساسي للالتحاق بالغرفة يتمثل في تحييد المركز- Neutralizing of status- حيث يتم تغييب أية إشارة تحيل إلى مراكز المتحاورين ومستويات نفوذهم السياسي والمؤسساتي. بينما نرى في الوضعيات التواصلية الطبيعية جملة من الزخارف و الأكسيسوارات و التوسيمات والألقاب التي تبين درجة نفوذ المخاطب اجتماعيا (لباس غالي الثمن، مكتب فاخر، شواهد ودبلومات معلقة على حائط المكتب، كتب كثيرة مرفوفة في المكتبة). والغاية من كل هذا أن يبين لمستمعيه مدى قوة مركزه الاجتماعي مبتغيا وضع مسافة نفسية بينه

وبين هؤلاء المستمعين، المحكومة بضرب من التعالي الذي يمنح لشخصه نوعا من الهيبة التيتؤهله للتحكم فيهم وتوجيههم بشكل طوعي أحيانا، بحيث يتشكل لدى المحاور الاعتقاد التالي: أن من يخاطبه هو شخص مهم وعليه احترامه والانصياع له. ومن الطبيعي أن مناخا مثل هذا مشحون بجملة من الصور التي تحاول إبراز مدى قوة الأفراد الاجتماعية ومدى نفوذهم يطرح جملة من التعقيدات لقراءة أذهانهم وعواطفهم ويستدعي مجهودا معرفيا كبيرا لمعرفة دواخلهم. وفي المقابل يشكل جهلنا التام في مواقع الدردشة بمركز الآخرين الاجتماعية، سببا رئيسا في تساوي الأفراد في عرضهم لأفكارهم وتصوراتهم[94]. وتجدر الإشارة هنا إلى أن التقدير والاحترام لا ينبع من بمدى تمتع زيد أو عمر بمركز اجتماعي قوي ولكن بمدى قدرة الشخص على إبداع أفكار نوعية ومدى تمكنه من فهم الآخرين والتعاطف مع معاناتهم. إذ يتم التعامل مع المرء في غرفة الدردشة بوصفه إنسانا أولا وأخيرا دون اعتبار للونه أو لجنسه أو لنسبه أو لانتمائه الطبقي. ومن هنا تنتفي جميع أشكال السلطة الموجهة للحوار وفي غيابها يجد الفرد في وضعية لا كفيه تدعوه إلى التعبير عن حالته الذهنية بكل طلاقة وحرية[95].

إضافة إلى ما سبق، تشجع خاصية تحييد المركز التي تتميز بها غرف الدردشة على التفتح الذاتي self-disclose على الآخرين. وهو ضرب من الانفتاح الطوعي على الآخر والذي تنتفي فيه مختلف الميكانيزمات الدفاعية المعتمدة في حياتنا اليومية التي تحول دون تفريغنا لمكبوتاتنا الداخلية. وما يشد الانتباه بهذا الصدد، كون طبع الإنسان بدوره يتغير. فالشخص الخجول ومثال يصبح أكثر جرأة في غرفة الدردشة الرقمية، والشخص الذي يتصف بالمسرحي في سلوكه، بحيث يتقنع بشخصية غير شخصيته ويتصرف بشكل مختلف عن طبعه، نجده في غرفة الدردشة يتعامل على طبيعته. ذات الأمر بالنسبة للشخصية الوسواسية في شؤون حياتها و الدقيقة في مواعيدها و المهووسة بالتنظيم والتخطيط المبالغ فيه، تصبح في غرف الدردشة أكثر مرونة في تعاملاتها وفي الكثير من الأحيان غير مبالية بعدد من الأمور[96].

وعليه، لا يمكن الركون إلى مفاهيم سيندر Synder[97]والحديث في غرف الدردشة الرقمية عن الشخصية القوية والشخصية الهشة في مراقبتهما الذاتية. لكون إيقاعات المراقبة وأشكال المتابعة القائمة في واقعنا اليومي لاحضور لها في غرف الدردشة.

لاجدال في كون الكتابة في غرف الدردشة الرقمية تشكل إحدى الوسائل الرئيسية للتعرف على الآخرين وقراءة حالاتهم الذهنية والعاطفية وتتمثل أهميتها في كونها تخلع المعنى والدلالة على جملة من الأحاسيس والعواطف الغامضة لدينا والدفينة فينا. فهي

تنظم شحنتنا الانفعالية وتؤطرها ضمن قوالب لغوية لنتمكن من الوعي بها وتصريفها للآخرين. فدورها بهذا الصدد يتمثل في التنظيم المعرفي والعاطفي لجهازنا النفسي ولعلاقتنا بالآخرين. وبعبارة أدق فهي تعمل على تنظيم انفعالاتنا وعواطفنا ومواقفنا على شكل أفكار وعبارات واضحة الدلالات. كما تسمح لنا بالحصول على جملة من المعلومات المهمة والمفيدة وإعادة نشرها وتوزيعها على الآخرين. إضافة إلى ما سبق يساهم التعبير بواسطة الكتابة من تقليص إحساس الفرد بالعزلة النفسية. فقلق الإحساس بالعزلة ينخفض نسبيا عندما يشرع الفرد في الكتابة لأنه يفترض ضمنيا أن هناك من سيقرأ ما دونه من خواطر وأفكار. وتجدر الإشارة هنا، أن للكتابة أهمية علاجية نفسية في كونها تمكن الشخص من تحديد مصدر قلقه. وبخاصة إذا كان يعاني من القلق العائم "Angoisse flottant". وإضفاء المعنى عليه وجعله مفهوما للآخرين ليشاركوه إياه. الشيء الذي يجعل هذا الشخص يدرك بأنه ليس الوحيد الذي يعيش هذا الضرب من القلق وإنما حتى الآخرين. وبالتالي يجد نفسه شيئا فشيئا يخرج من عزلته النفسية وينفتح على الآخرين. زد على ما سبق، تمنح الكتابة للفرد نوعا من الإحساس بالاطمئنان والثقة بالنفس لكونها تمكنه من التعبير عما هو عميق فيه[98]. إجمالا تفتح الكتابة المجال أمام عملية التوصيف الذاتي التي تسمح للفرد بالتشخيص الدقيق لمعيشه النفسي الداخلي وتجاربه الباطنية و سيروراته الذهنية وتقويم كفاءاته وقدراته المعرفية والوعي بنقط قوتها وضعفها[99]. كما تمكن من تضبيط الانفعالات والعواطف ومراقبتها وتدبيرها وترشيدها لتصبح مواقف وسلوكيات إيجابية. وبهذا تساهم الكتابة بوصفها نشاطا توصيفيا لمكنونات الذات من التنظيم الإيجابي للانفعالات الشيء الذي يسهل عملية اتخاذ القرارات الملائمة لمواجهة وضعية ما[100] . وفي السياق ذاته كشفت دراسة لمجموعة من الباحثين أن الكتابة الواصفة لتجارب الفرد الذاتية ومعاناته الشخصية تؤدي لديه إلى الزيادة في الانفعالات الإيجابية وتقلص حجم الانفعالات السلبية. بينما هذا الأمر غير قائم عندما نكتب عن أحداث محايدة عن الذات[101].

إجمالا يظل فعل الكتابة عاملا مهما لتقوية الشخصية Genertor of empowerment. ففي دراسة اسكندينافية حول 15 امرأة مصابة بسرطان الثدي تمت دعوتهن إلى توصيف معاناتهن في غرف الدردشة بواسطة الكتابة. وقد لوحظ بأن لعملية تفريغ معاناتهن بواسطة الكتابة وإبلاغها للآخرين دور مهم في تمكينهن من التحكم بشكل أفضل في قلقهن واضطرابهن النفسي الناجم عن معاناتهن مع السرطان[102]. هكذا فلتنويع أشكال الكتابة بين الكتابة الساخرة والدرامية أهميته في تحكم مرضى السرطان في معاناتهم النفسية. (نفس المرجع). ففي إحدى الدراسات تم التوصل إلى أن اعتماد

مرضى سرطان وكذا بعض المعاقين جسديا، في غرف الدردشة، عنصر النكتة للسخرية من مرضهم أو إعاقتهم مكنهم من تفريغ قلقهم والتقليل من الضغط النفسي الذي يعانون منه[103].

تعرف مجموعة الدردشة بوصفها مجموعة ديناميكية، كغيرها من المجموعات الطبيعية، علاقات ألفة وتآخي وتآزر بين أفرادها كما تعرف أحيانا علاقات تشنج وتوتر بين هؤلاء. وكون فن الإنصات للآخر ميزة قائمة بوضوح في غرفة الدردشة،فهو يؤسس لمناخ الثقة فيما بين منخرطيها .ففيها، مثلا، يعبر المرضى عن معاناتهم وما يحسونه اتجاه المرض دون ضجر أو ملل أو كلل. بينما لا يجدون في الوقع اليومي من يصغي إليهم لمدة طويلة ولأدق تفاصيل معاناتهم، اللهم إذا كان من سينصت إليهم هو المعالج النفسي. وبالتالي سنكون هنا أمام سلطة علاجية ستخلو، بالطبع، من أي تجاوب أفقي مع المريض وأي تواصل فعلي معه. في حين نجد في غرفة الدردشة غيابا تاما لأي شكل من أشكال السلطة، فكون جميع أفراد الغرفة يعانون من نفس المرض يؤسس لعلاقة تساوي وتشارك فيما بينهم، ويمنحهم الفرصة لتفريغ أحاسيسهم السلبية من المرض والتوصيف الدقيق لانفعالاتهم مع هذا المرض والوعي بها والتحكم فيها والخروج بتصور متفائل وإيجابي للحياة[104].

وتأسيسا على ما سبق، نفهم أن الفرصة السانحة التي تمنحها غرفة الدردشة والمتمثلة في مشاركة الفرد لمشاكل الآخر النفسية الداخلية وإنصاته لمعاناته تمكن منخرطي الغرفة من التخلص من انفعالاتهم وعواطفهم السلبية وتروح على أنفسهم، كما تدعم نظرتهم المتفائلة للحياة. ونلفت الانتباه بهذا الصدد إلى دراسة تمت حول عينة مكونة من مصابين باضطراب في حاسة السمع كانوا يعانون من العزلة الاجتماعية والإحساس بالقلق والقهر والدونية. وقد تمكنوا بالفعل من تجاوز هاته الأحاسيس النفسية السلبية، عندما انخرطوا في مجموعة دردشة وشرعوا في التحاور مع أقران لهم يعانون من نفس الإعاقة[105].

وتجدر الإشارة هنا إلى مفهوم سبق وأن بسطناه في فقرات سابقة من هذه الدراسة وهو مبدأ التصميم المتفائل "principle of optimal design"[106] ويتلخص في كون عملية تقبل شخص ما لشخص آخر تتحقق بشكل أفضل عندما يثير هذا الأخير مضامين تمس فضاء اهتمام الأول وتنسجم وتوقعاته. ومن الواضح أن مبدءا كهذا ينمي تلك العلاقات التعاطفية و الحميمية بين أفراد غرف الدردشة. فمادام جميع الأفراد منخرطين في الحديث عن معاناتهم و همومهم المشتركة، فهم ينتهون في الكثير من الأحيان إلى إنتاج لغة خاصة بهم لا تحتاج إلى تقديم الكثير من المبررات ولا إلى بسط الكثير من التفسيرات لإبلاغ الأفكار التي تراودهم. وذلك لكون تلك اللغة نابعة أساسا

من عمق نفسي يشترك فيه الجميع. وعلى العكس من ذلك عندما يواجه عضو ما من أعضاء غرف الدردشة، تخص مثلا المصابين بالسرطان، أشخاصا لا يقاسمونه نفس الهم والمعانات ولا يشاركونه مراكز اهتمامه، فإننا سنلاحظ كون أولائك الأشخاص غير مدركين معاناة المصاب بالسرطان، بل الأكثر من ذلك نجدهم أحيانا يسيئون فهم المريض وخصوصيته. هكذا يشجع مبدأ التصميم المتفائل أفراد غرف الدردشة على الإصغاء إلى القصص الشخصية لبعضهم البعض والتفاعل معها والانتهاء بخلاصة مؤداها حكاية فلان مع المرض شبيهة بحكايتي[107]. الشيء الذي يتولد عنه نوع من التقمص العاطفي بين أفراد الجماعة تتولد عنه رغبة هؤلاء الأفراد في التضامن والتآزر مع كل شخص مصاب، كما يقوي لديهم الإحساس بالانتماء إلى جماعة الدردشة–Belongingness–[108]، ويدعم نفسياتهم في مواجهة المرض (Personnel Empowerment). وهنا يبدو جليا أن معرفة الآخر وقراءة ذهنه تتحقق من خلال عملية التعاطف بمعنى اعتماد إستراتيجية القياس بواسطة المماثلة للتعرف على حالات الآخر الذهنية والعاطفية.

لا جدال في كوننا نثق أكثر في المعلومات التي نحصل عليها من مصدرها الأصلي مقارنة بالمعلومات التي تصلنا من خلال سلطة معرفية أو عبر وسيط انتقائي للمعارف Filtering agent.ومن هنا فالمعلومات المأخوذة من مصدرها الأصلي تمكننا من اتخاذ قرارات فعالة وناجعة وأحيانا شجاعة. ففي غرف الدردشة لمرضى السرطان مثلا، حصول المصاب على المعلومة من مصاب آخر وذلك من خلال سرد هذا الأخير لقصته مع المرض. سيمكن الأول من فهم جيد لمرضه وإدراك كيفية الإمساك بمختلف تداعياته. الشيء الذي يقوي كفاءاته الشخصية في مواجهته للمرض[109].

وتجدر الإشارة إلى أن تقوية الذات في مواجهة المرض لا يتحقق فقط لدى من يحصل المعلومة وإنما كذلك حتى بالنسبة للفرد المصاب الذي يقدم تلك المعلومة، بحيث من خلال تقديمه للمعلومة ونشرها فهو يلعب دور الموجه والداعم والمساعد للآخرين. وبقيامه بهذا الدور فهو يقوي كفاءاته الذاتية حول كيفية تحكمه في المرض[110]..

إجمالا إن لعمليات معرفية من قبيل تحصيل معلومة حول مشكل ما ونشرها دور جد هام في تقوية شخصية الفرد. وقد تم رصد ذلك في عدد من مجموعات الدردشة منها: مجموعة المهتمين بتربية الأطفال[111] ومجموعة الذين يعانون من اضطرابات نفسية[112]والمعاقين جسديا[113]والنساء المصابات بسرطان الثدي[114]، والذين يعانون من حساسية غذائية[115]، والمصابون بتصلب الأنسجة[116]، واللواتي تعانين من استئصال الرحم hysterectomy [117].

وننوه بهذا الصدد إلى دراسة لبريتوايت[118] اعتمدت على منهج تحليل الرسائل الرقمية لمجموعات من المعاقين جسديا،وقد خلصت إلى أن عملية ترويج المعلومات بين أعضاء تلك المجموعات يدعم ويعزز قوة شخصيتهم. وفي دراسة ثانية حول مرضى سرطان الثدي تم التوصل إلى أن قيام الأشخاص الذين تعافوا تماما من مرض، بسردهم لقصة شفائهم لبقية المرضى شكل محفزا هاما وباعث أمل لهؤلاء المرضى لتجاوز معاناتهم مع المرض [119].

وتأسيسا على ما سبق لا يمكن نعت المعلومات المتداولة بين مجموعة الدردشة التي يعاني أفرادها من مرض أو إعاقة ما بالمعلومات الخاطئة وغير المفيدة[120]، فهي تظل أكثر تقبلا وأكثر إقناعا لأفراد مجموعة الدردشة من تلك التي يحصلونها من طرف خبير أو متخصص -طبيب-. لكونها نابعة من مصدرها الأصلي، بمعنى من شخص عاش ذاك المرض واستطاع إما تجاوزه أو التعايش معه وذلك بتكيف وضعه المرضي مع محيطه. الشيء الذي يسمح لبقية أعضاء غرفة الدردشة من نقل الاستراتيجيات والخبرات المعتمدة من طرف ذاك الشخص وتداولها في حياتهم اليومية[121].

ينخرط بعض الناس، في الغالب الأعم، في غرف الدردشة لتقليص إحساسهم بالعزلة والتهميش والإقصاء الاجتماعي، وبخاصة أولائك الذين يعانون من الوصم الاجتماعي stigmatized بسبب إما إعاقة جسدية أو ذهنية أو أولائك الذين لديهم هوية خاصة أحيانا مرفوضة من طرف المجتمع، ومنهم المصابين بالسيدا و الأقليات العرقية والمهاجرين.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن من الناس من يعاني من اضطراب نفسي ولا يمتلكون الشجاعة الكفاية للخضوع للعلاج النفسي المباشر. ويبدو ذلك جليا من خلال رفضهم الانخراط في مجموعة علاجية قائمة في واقعه الاجتماعي. ليظل ملاذهم الوحيد هو العالم الافتراضي المتمثل في غرف الدردشة الرقمية، والتي تمنحهم فرصة التواصل مع أشخاص يشاركونهم نفس المعاناة النفسية، وذلك دون أية رقابة اجتماعية ومؤسساتية. وعليه، عندما ينتمي المرء إلى غرفة رقمية يتقاسم هو وأفرادها نفس المعاناة والهموم، فإن هناك الإحساس بالتضامن والتآزر الذي يبدأ في التنامي بين أعضاء الغرفة[122]. الشيء الذي يشجع الفرد على التفكير في وضعه ليس بوصفه كائنا معزولا ومضطهدا وإنما من خلال كونه قوة اجتماعية قادرة على التغيير... مما يمنح نوعا من القوة لشخصيته. فيشرع في التعبير للآخرين عن معاناته دون هاجس الخوف من التهميش والإقصاء[123]. كما يبدأ هو وأفراد جماعته في التفكير في ابتكار استراتيجيات وتكتيكات لمواجهة وصمات المجتمع لفئته[124].

ما يميز غرف الدردشة كونها تمكن أي فرد من حشد أكبر عدد من المعلومات والاستشارات في وقت وجيز وذلك من خلال ما يدور فيها من حوارات ومحادثات. فالمرء في إطلاعه على مشاكل الآخرين في غرف الدردشة وفي تعرفه على الإجراءات المتخذة لمعالجتها، يتمكن من فهم طبيعة مشكلته الشخصية وكيفية اتخاذ القرارات المناسبة لمعالجتها.

عموما تمكن غرف الدردشة الفرد من التعرف على حالات الآخرين الذهنية والعاطفية في تعاملها مع وضعيات يواجهها هو حاليا أو سيواجهها مستقبلا. بمعنى أن العملية هنا لا تخرج عن إطار التعلم غير المباشر الذي يمكن من اقتصاد الوقت والمجهود الذهني وعدم المغامرة بالانخراط في تجارب جديدة، إلا بعد الرجوع إلى خبرات الآخر والاستفادة منها.

وبهذا الصدد كشف الباحث سارف على أن عملية المحادثة على الشبكة العنكبوتية بين المصابات بسرطان الثدي قد أسفرت على قيام البعض منهن بمراجعة نقدية لجملة من المواقف التي كانت تحد من تكيفهن مع مجتمعهن. كما تمكن من اتخاذ جملة من قرارات الجريئة واللواتي لم يكن يمتلكن، قبل انخراطهم في غرفة الدردشة، الشجاعة الكافية للقيام بها وذلك من قبيل الخضوع لعملية إزالة الثدي[125].

ومن هنا نفهم وبحسب معطيات ميدانية أن للمحادثات على الانترنيت تأثير إيجابي على عدد من الحالات المرضية يتمثل في تمكينها من الثقة بالنفس واختيار وجهة النظر المناسبة لمواجهة المرض واتخاذ القرارات الفعالة والناجعة لمعالجته منها مرضى سرطان الثدي ومرضى سرطان البروستات والنساء عندما يبلغن سن اليأس[126].

ما يمكن الوقوف عنده في العشر سنين الأخيرة من تاريخ تطور العلوم المعرفية، الحضور البارز لدراسات قيمة؛ ابتغت الكشف عن أوجه العلاقة بين الأنشطة العصبية والأنشطة قراءة أذهان وعواطف الآخرين. وقد خلصت إلى النتائج التالية:

– إن تمثل أفعال الآخرين ومحاكاتها يحرض في الجهاز العصبي ما يسمى بالعصبونات المرآتية. فقد لوحظ إشعالا لهذا النمط من العصبونات في الباحة الدماغية الأمامية للقشرة الحركية البطينية (Ventral premotor cortex) لدى الإنسان عندما يتمثل فعلا ينجزه شخص ما وكذلك عندما يحاكي ذلك الفعل[127]. وتظل هاته العصبونات في وضعية سكون عندما يتمثل هذا الإنسان فعلا ناجما عن جهاز ميكانيكي (رافعة مثلا)[128]. وهذا يؤشر عن أهمية هاته العصبونات المرآتية في تمكين الإنسان من تمييز الذات

البشرية الفاعلة عن آلة ومن تحديد معنى الكائن البشري الحامل لحالات ذهنية وعاطفية والذي يختلف عن الآلة الميكانيكية الخالية من الأحاسيس والعواطف[129]. ولتأكيد ما سبق تتجلى قدرة ذهننا الأوتوماتكية وغير الواعية على التمييز بين الآلة المتحركة والكائن البشري، في كون الإنسان يتأثر أحيانا بشكل لا شعوري، أثناء إنجازه لسلسلة من الأفعال، بأفعال الأخر (Action interferes): كأن يتثاءب شخص ما بجوارك، فتجد نفسك تتثاءب بدون وعي منك. في حين عملية التأثر هاته غير قائمة عندما يقوم رجل آلي بفعلا ما[130].

– معلوم أن عملية قراءة ذهن وعواطف الآخرين تعتمد في جزء كبير منها على قياس حالاتهم الذهنية والعاطفية على الحالات الذهنية والعاطفية الذاتية.

و هاته المسألة لا تتحقق إلا من خلال التعاطف مع هؤلاء الآخرين والرغبة في تقمص شخصيتهم. وهنا نجد عدة معطيات نورولوجية تتماشى وفرضية مماثلة ذاتي لذات الآخر وقياس ذات الآخر على ذاتي لفهمها. فباعتماد تقنية التصوير الدماغي تم الكشف على أن هناك جزءا كبيرا من القشرة الدماغية الحركية والقشرة الجدارية (Parietal cortex) ينشط بطريقة التموضع الجسدي (Somatotopicmanner) ، بحيث عندما نلاحظ شخصا ما يقوم بفعل بواسطة أحد أعضاء جسده، فإن ما يحرض في دماغنا هو نفس المنطقة العصبية المسؤولة عن تحريك العضو المعتمد من طرف ذلك الفرد في قيامه بالفعل: كأن دماغنا يتقمص الفعل الذي يقوم به الآخر أو بالأحرى كأننا نحن نقوم بنفس الفعل الذي يقوم به الأخر. و نحن في حقيقة الأمر نكتفي بملاحظته فقط[131]..

إن فرضية القياس بواسطة المماثلة أو تقمص عواطف وحالات الآخر الذهنية لمعرفته تم تأكيدها، كذلك، من خلال تجربة اعتمد فيها تقنية التصوير الدماغي، حيث تم استدعاء عينة مكونة من عدد من الأزواج وتم تعريض أحد الزوجين لصدمات كهربائية. وقد لوحظ أن المناطق العصبية التي تحرض لدى الشخص الذي يتألم هي نفسها التي تحرض لدى زوجه المتفاعل والمتعاطف معها[132]. بمعنى، نحن هنا أمام ضرب من التشارك في نفس الشبكة العصبية بين المتعاطف والمتعاطف معه. وما كشف بهذا الصدد اعتمادا على تقنية التصوير الدماغي من تحريض لنفس المنطقة العصبية لا يقتصر على المتألم والمتعاطف معه فقط، وإنما يشمل المبحوث الذي يلمس من طرف شخص ما والذي يرصد عملية اللمس هاته، وبين من يشم رائحة مقرفة ومن يستشف من خلال تعابير وجه الآخر كون تلك الرائحة مقرفة بالفعل. فالمسألة هنا تتعلق، باختصار شديد، بدوي لرنين حالات الآخر الذهنية من انفعالات وعواطف ومقاصد في الجهاز الذهني والعصبي للشخص

المتعاطف معه[133].

وتأسيسا على ما سبق، ندرك كون الصفة التي تميز الإنسان عن بقية الكائنات، كونه كائنا متعاطفا مع بني نوعه. فمعلوم أن الطفل في سن مبكر يصرخ بشدة عندما يجد طفلا مثله يبكي بسبب الأسى والحزن. وهنا يتحدث هوفمان عن نوع من التعاطف الأولي لدى الطفل الذي يسميه بالتعاطف الآسي (Emphatic distress) والذي سينمو ويتطور لديه عندما يكبر ليأخذ شكل تعاطف غيري (Emphaticaltruism) المتضمن لجملة من العواطف ذات المرجعية الأخلاقية مثل الشفقة والرحمة والمواساة. بالتالي هذا الطرح النور و معرفي لعملية التعاطف مع الآخر تنسجم وما سبق أن قاله كل من الفيلسوف هيوم وسميت بكون الأخلاق تبنى من خلال تقمصنا العاطفي لمعانات الآخرين وهمومهم.

لكن السؤال الذي يستوجب منا الإجابة بهذا الصدد؛ هل عمليتي قراءة أذهان وعواطف الآخرين موزعة على عدد من المناطق العصبية أم ممركزة في منطقة معينة من الدماغ؟

القول بكون العمليتين مموضعة في منطقة عصبية بعينها دون غيرها يدعونا إلى اعتماد النظرية القالبية (La théorie modulaire) لفهمها وتفسيرها. ومعلوم أن صاحب هذه النظرية هو جيري فودور[134] (1983).فقد افترض أن نظامنا الذهني موزع على عدة ميادين، كل ميدان متخصص في معالجة نمط معين من المعارف. ويقابل هاته الميادين الذهنية المتخصصة مناطق عصبية، كل منها مسؤول عن مباشرة نمط معين من العمليات المعرفية؛ فهناك مناطق عصبية تخص الأنشطة اللغوية وثانية تهم الأنشطة الذاكروية وأخرى تحرض الأنشطة الإدراكية البصرية إلخ... بمعنى إن جهازنا العصبي بدوره موزع على قوالب متخصصة في تحريض أنماط معينة من المعارف [135].

وحري بالتنبيه هنا، إذا كانت مجموعة من الباحثين قد اعتمدت التصور القالبي في تفسيرها لكيفية اشتغال بعض الأنشطة المعرفية؛ من قبيل اللغة والإدراك البصري والذاكرة، فإنه يصعب الركون إليه كليا في دراستنا لسيرورات المعرفية الاجتماعية. لكون هاته الأخيرة تتطلب، إن على مستوى إنتاجها أو فهمها، تدخلا لعمليات معرفية متنوعة لغوية وإدراكية وحسية وحركية وذاكروية... الشيء الذي يفترض توطينا لعدد من الباحات العصبية لمباشرتها[136].

هكذا وباعتماد تقنية التصوير الدماغي تم التوصل إلى أن هناك أكثر من منطقة عصبية مسؤولة عن إنتاج عمليات قراءة أذهان وعواطف الآخرين، والتي تشتغل على شكل شبكات عصبية تستغرق مساحات كبيرة من الدماغ وتشمل الفص الجبهي(frontal

lobe) والوصل الصدغي الجداري (temporal partial junction) والتلفيف الجداري العلوي (Superior temporal sulcus) والفص الصدغي[137](temporal poles).

و نعرض، فيما يلي، لبعض التجارب التي اعتمدت من طرف الباحثين لرصد الشبكات العصبية المسؤولة عن المعرفية الاجتماعية:

ففي دراسة تصويرية دماغية اعتمدت على مجموعة من المثلثات، التي تشخص أثناء تحريكها إما انفعال الفرح أو الحزن أو الغضب، تمكن الباحثون من تحديد المناطق الدماغية المسؤولة عن إقران المبحوثين حركات المثلثات بالانفعالات التي تناسبها وهي: الفص الجبهي الإنسي (Medialfrontal lobe) والثلم الصدغي العلوي (Superior temporal sulcus) والأقطاب الصدغية[138](Temporal poles) إضافة إلى ما سبق تم التوصل إلى أن لمنطقة الفص القبل جبهي دور جد هام، في قراءة أذهان الآخرين من جهة وفي عملية الكذب على الآخرين والتحايل عليهم من جهة ثانية. ففي تجربة طلب فيها من عدد من الأشخاص حجب المعلومات الصحيحة حول تاريخهم الشخصي عن مستجوبيهم وتقديم معلومات زائفة. وما تم التوصل إليه أن المنطقة الدماغية المسؤولة عن قراءة أذهان الآخرين والمتمثلة في الفص القبل جبهي هي نفسها المسؤولة عن عملية الكذب[139]. الشيء الذي يفيد أن علمية الكذب تتطلب من المرء أن يتساءل عن نوايا الآخرين ومقاصدهم ومدى تصديقهم وتقبلهم لكذبه هذا، مما يستوجب منه استدعاء كفاءات قراءة أذهان الآخرين.

هناك منطقة ثالثة لها دور هام في قراءة أذهان وعواطف الآخرين وهي منطقة اللوزة (Amygdale)؛ إذ توصلت مجموعة من الدراسات التصويرية الدماغية إلى ما يفيد أن منطقة اللوزة تحرض لدينا عندما نستخدم تقاسيم وجهنا للتعبير عن انفعالاتنا[140]. كما أن هناك دراسة ثانية خلصت إلى أن استجابة اللوزة للانفعالات تختلف باختلاف طبيعة الشخصية هل هي انطوائية أم انبساطية[141]. وفي تجربة لوينستون ومعاونيه باعتماد تقنية التصوير الدماغي، تمت مواجهة عدد من المفحوصين بصور وجوه أشخاص توحي بكونها جديرة بالثقة وأخرى ليست جديرة بالثقة، وما تم الخروج به مستوى التحريض العصبي جد مرتفع في منطقة اللوزة عند مباشرة الفرد لوجوه غير جديرة بالثقة مقارنة بالوجوه الجديرة بالثقة.

وفي ذات السياق لوحظ تحريض واضح المعالم لمنطقة اللثم الصدغي العلوي (Superior temporal sulcus) وذلك عندما يعلن المفحوص وبشكل صريح بكون هذا

الوجه جديرا أو غير جدير بالثقة. ومن هنا لا بد من التأكيد على أن تحريض اللثم الصدغي العلوي مقترن بتعبير الفرد الصريح عن مدى ثقته بسحنة وجه شخص ما. بينما عندما يظل الحكم ضمنيا فإن النشاط العصبي سينحصر في منطقة اللوزة [142].

إجمالا يبقى للثم الصدغي العلوي دوربارز في عمليات قراءة أذهان وعواطف الآخرين، وذلك من حيث كونه يعرف نشاطا دالا أثناء تمثلنا للوجوه البشرية أو في تمييزنا بين حركة يقوم بها كائن بيولوجي وآلة.

نضيف لما سبق منطقة أخرى لها أهميتها في معرفيتنا الاجتماعية وهي القشرة الجبهية الإنسية (MedialFrontal Cortex) والتي تنشط أكثر عند مواجهة الفرد لوضعيات مشاكل أخلاقية[143]. ويمكن اعتبار هذه المنطقة المسؤولة الأولى عن عمليات التفكير الأخلاقي. فالأشخاص الذي يعانون من إصابة في القشرة الجبهية الإنسية لديهم صعوبة في التفكير الأخلاقي الاجتماعي[144].

لا أحد يجادل في كون بلوغ مستوى التفاهم مع الآخر، وإن كان مختلفا عنا عرقيا وثقافيا ودينيا، يقتضي فهم حالاته الذهنية والعاطفية. وعملية الفهم هاته، ليست بالعملية السهلة والميسرة. وذلك من حيث كونها تُبنى من خلال نشاط قرائي وتأويلي لبواطن ذهن الآخر. الذي يختلف في نتائجه باختلاف الآليات والاستراتيجيات المعتمدة فيه وباختلاف مقاصده. فإذا ما اعتمدنا الاستراتيجية الازدرائية والأحكام الجاهزة والإشاعات، التي لا تتطلب أي مجهود ذهني مكلف، سننتهي إلى تصورات نمطية وتوسيمات قدحية وأحيانا صيغا عنصرية. وإذا ما لجأنا إلى الاستراتيجية التنظيرية الحدسية، فهذا يعني أننا سنضع مسافة اختباريه بيننا وبين الآخر. وبالتالي سننظر إليه بوصفه موضوعا تجريبيا ليس إلا. وأما إذا استدعينا الاستراتيجية التقيسية المكلفة من حيث المجهود الذهني، فهذا سيؤشر على حضور البعد الإنساني في تعاملنا مع الآخر. إذ سنضع أنفسنا مكانه وسنحاول التعامل مع ظروفه ومعاناته، كأنهما جزءا لا يتجزأ من ظروفنا ومعاناتنا. وبهذا سننتقل من مستوى فهم الآخر إلى مستوى التفاهم معه.

وبناء على ما سبق نرى أن ترسيخ قيم التفاهم، ومنها حق الاختلاف وقبول التعددية في وجهات النظر، يتم من خلال الاعتماد على منظومة تربوية تنمي لدى الناشئة ملكة الإمساك بمنظور الآخر، وكذا كفاءة قراءة أذهان الآخرين وعواطفهم. الشيء الذي سيمكن الأجيال الصاعدة من الوعي بكون منظور الآخر ليس بالضرورة مماثلا للمنظور الشخصي، وليس خطأ أو جريمة أن يختلف عن هذا المنظور الشخصي.

كما لا يفوتنا أن نؤكد ضمن نفس السياق، أن فتح حوار فعال ومفيد بين الثقافات بشكل عام وبين الأديان بشكل خاص، يقتضي الانفتاح على أدوات منهجية حديثة للحوار، ومنها تلك التقنيات وطرائق التفكير الواعدة التي تؤسس لها المعرفية الاجتماعية، والتي تحاول الاجابة عن سؤال محوري، ماذا يحدث في أذهان الأطراف المتحاورة؟ وقد أبانت عن أهميتها في تخصصات حديثة النشأة ومن بينها أنثروبولوجيا الأديان المعرفية وعلم النفس السياسي المعرفي.

هوامش الدراسة

1. Kwan, V.S.Y., & Fiske, S.T. Missing links in social cognition: The continuum from nonhuman agents to dehumanized humans. SocialCognition, 26, 125–128.2008.

2. ما يميز الإنسان عن بقية الكائنات كونه يتوفر على القدرة على إسناد حالات ذهنية وعاطفية لذاته وللآخرين. والتي هي غير قائمة بشكل متطور لدى الحيوان. فتصرفات الحيوان لا تتضمن أي نشاط لتقفي حالات نوعه الذهنية. فهو مثلا ليس بقدوره توجيه أصبعه لشيء ما لإخبار الآخرين بمكانه. كما لا يستطيع أخذ موضوع ما ليريه للآخرين. زد على ذلك ليس بمقدوره إحضار الآخرين إلى موقع ما ليريهم موضوعا ما لم يتمكنوا بعد من رؤيته.ولا يستطيع تعليم خبراته واكتشافاته للآخرين.
Mameli, M.Mindreading, mindshaping and evolution. Biology & philosophy, 16 (5). pp. 598. 2001.

3. Epley, N. & Waytz, A., Mind perception, Hand book. In press.
4. Peterson, D. M. and K. J. Riggs."Adaptive Modeling and Mindreading". Mind and Language 14(1), P 80. 1999
5. Malebranche, N. De la recherche de la vérité,T1, Ed. Vrin, 1674.

6. بحسب المقاربة المعرفية الاجتماعية لا يمكن بأي حال من الأحوال اعتبار السلوك ألإدعائي أو التظاهري (Pretending behavior) سلوكا سلبيا. فبه يتمكن الطفل من إدراك وجود عالم متخيل بجوار العالم الواقعي. ومن خلاله يتعلم كيف يستخدم مجموعة من الروابط اللغوية التي تحيل إلى ما هو مفترض وذلك من قبيل : لو، ما إذا، وإن كان... فالطفل عندما يدعي أثناء لعبه أنه كلب ،أو ما صنعه من الوحل كعكا، لا يعني أنه يؤمن بما يدعيه على أنه حقيقة. ولو كان الأمر كذلك لتصرف مثل الكلب وأكل العظام أو لأكل الوحل على أنه كعك. لكنه يرفض القيام بهذا الفعل. وهذا يعني أن الطفل في لعبه الإدعائي هذا يكشف عن مدى قدرته على الفصل بين نماذج متعددة لتمثل العالم (Decoupling to multiple models) ومدى تمييزه بين العالم كواقع وكإفتراض. وهكذا فكون اللعب الإدعائي يسمح للطفل بتمثل الأشياء من زوايا متعددة فهو ينمي لديه القدرة على تمثل وضعيات لم تجري أحداثها أمامه مثل الأحداث التاريخية والروائية أو تلك التي يرغب في حدوثها. و يطور لديه، كذلك، القدرة على فهم دلالة الرسوم والصور والرموز التي يعتمدها الناس في تواصلهم. ومن هنا فتتميز الطفل بين تمثله للوضعيات الواقعية الحقيقي والوضعيات الافتراضية

المضادة للواقع (Counterfactual situation) ينتهي به إلى بناء ما يطلق عليه النشاط المطا تمثلي. والذي نعني به تلك القدرة على التمييز بين مختلف التمثلات التي تصيغها الذات أو يصيغها الآخر حول موضوع ما وتصنيفها والحكم عليها هل هي قائمة بالفعل في الواقع أم غير قائمة وهل هي ممكنة التحقق أم لا، وذلك بشكل واع وإرادي.

Meini, C. and Voltolini, A.. How pretence can really be metarepresentational, Mind and Society: Cognitive Studies in Economics and Social Sciences, vol. 9, issue 1, pages 31-33. 2010.

Epley, N., Waytz, A., & Cacioppo, J.T.. On seeing human: A three–factor theory of anthropomorphism. Psychological Review,114, 864–886. 2007.

7. Haslam, N., Dehumanization: An integrated review. Personality and Social Psychology Review, 10, 252–264. 2006.
8. Epley, N. & Waytz, A. op.Cit. In press.
9. ونود الإشارة هنا، إلى جملة من الدراسات الميدانية الحديثة التي خرجت بنتيجة مؤداها أن الفرد الذي يتمتع بقوة اجتماعية لا يكترث بحالة الآخر الذهنية والعاطفية لكونه ببساطة ليس بحاجة إليه. ومن هنا نراه يعزف عن استثمار طاقاته المعرفية لقراءة حالات الآخرين الذهنية والعاطفية. الشيء الذي يجعله غير موفقا في الإصغاء لمشاكل الآخرين ومعاناتهم. وأقل قدرة على التعرف على مواقفهم والكشف عن وجهات نظرهم حول موضوع ما. وأقل تعاطفا مع المعوزين وأقل إشفاقا عليهم:

Goodwin, S. A., Gubin, A., Fiske, S. T., & Yzerbyt, V. Y. Power can bias impression processes: Stereotyping subordinates by default and by design. Group Processes & Intergroup Relations, 3, 227–256. 2000.

Keltner, D., Gruenfeld, D. H., & Anderson, C. Power, approach, and inhibition. Psychological Review, 110, 265–284. 2003.

Galinsky, A.D., Magee, J.C., Inesi, M.E., & Gruenfeld, D.H, Power and perspectives not taken. Psychological Science, 17, 1068-1074. 2006

Van Kleef, G.A., Oveis, C., Van der Löwe, I.,LuoKogan, A., Goetz, J., & Keltner, D. Power, distress, and compassion: Turning a blind eye to the suffering of others. Psychological Science, in press).

10. من بين هذه الدراسات الميدانية نذكر:

Hall, J. A., & Halberstadt, A. G. "Subordination" and sensitivity to nonverbal cues: A study of married working women. Sex Roles, 31, 149–165. 1994.

Hall, J. A., Halberstadt, A. G., & O'Brien, D. E.. "Subordination" and

nonverbal sensitivity: A study and synthesis of findings based on trait measures. Sex Roles, 37, 295–317.1997.

Overbeck, J. R., & Park, B. When power does not corrupt: Superior individuation processes among powerful perceivers. Journal of Personality and Social Psychology, 81, 549–565. 2001.

11. Mast, M. S., Jonas, K., & Hall, J. A. Give a person power and he or she will show interpersonal sensitivity: The phenomenon and its why and when. Journal of Personality and Social Psychology, 97, 835-850. 2009.
12. Gruenfeld, D.H, Inesi, M.E., Magee, J.C., &Galinsky, A.D.. Power and theobjectification of social targets. Journal ofPersonality and Social Psychology, 95, 111-127. 2008.
13. McAlister, A., & Peterson, C. A longitudinal study of child siblings and theory of mind development. Cognitive Development, 22, 258-270. 2007.
14. de Villiers, P. A. The role of language in theory-of-mind development: What deaf children tell us. In J.W. Astington & J.A. Baird (Eds.), Why language matters fo theory of mind (pp. 266-297). New York: Oxford University Press. 2005.
15. Cohen, D., & Gunz, A. As seen by the other…: Perspectives on the self in the memories and emotional perceptions of Easterners and Westerners. Psychological Science, 13, 55-59. 2002.
16. Leung, A. K.-Y., & Cohen, D. The soft embodiment of culture: Camera angles and motion through time and space. Psychological Science, 18, 824-830. 2007.
17. Wu, S., & Keysar, B. Cultural effects on perspective taking. Psychological science 18, 600-606. 2007
18. Sartre, J.P., L'être et le Néant. Collection Tel, Ed. Gallimard, pp. 316-317. 1943.
19. Buckner, R. L. & Carroll, D. C. Self projection and the brain. Trends in Cognitive Sciences, 11, 49–57. 2007.
20. Pronin, E., Olivola, C.Y., & Kennedy, K.A. Doing unto future selves as you would do unto others: Psychological distance and decision making. Personality and Social Psychology Bulletin, 34, 224-236. 2008.
21. Pronin, E., & Ross, L.. Temporal differences in trait self ascription: When the self is seen as an other. Journal of Personality and Social Psychology, 90, 197-209. 2006.

22. Wilson, T.D. & Gilbert, D.T. Affective forecasting: Knowing what to want. Current Directions. 2005.
23. Sartre, J.P., Op.cit. p 115.1943.
24. Epley, N.. Solving the (real) other minds problem. Social and Personality Psychology Compass, 2, 1455-1474. 2008
25. Van Boven, L., & Loewenstein, G. (2003). Projection of transient drive states. Personality and Social Psychology Bulletin, 29, 1159–1168.
26. ونود شد الانتباه هنا، إلى أن فعل التعلم ليس دائما فعلا مباشرا يبنى من خلال تحصيل مباشر للفرد من تجارب عايشها في الواقع. ولكن هو كذلك فعل غير مباشر يعتمد على جملة من المعلومات الاجتماعية المستفادة من معاينة الآخرين وهم يعيشون وضعيات معينة في الواقع دون أن يكون المتعلم ملزما بأن يعيش تلك الوضعيات. وهذا أمر ينطبق، كذلك، على عالم الحيوانات فالفأر عندما يتعامل مع أكل غير مألوف يرسل جملة من الإشارات لبقية الفئران ليتجنبوا تناول ذلك الأكل. والطفل صغير السن بدوره يلجأ إلى إستراتيجية التعلم غير المباشر، من خلال ملاحظة تجارب الآخرين وتفاعلاتهم مع الواقع. أنظر:
Frith, C. D. Social cognition: Hi there! Here is something interesting. Current Biology 18 (12). 524-525. 2008.

Keysar, B., & Barr, D. J.. Self anchoring in conversation: Why language users do not do what they «should». In T. Gilovich, D. W. Griffin, & D. Kahneman (Eds.), Heuristics and biases: The psychology of intuitive judgment. (pp. 150-166). Cambridge University Press. 2002.

27. يتلخص دور الذاكرة التفاعلية (Transactive memory) في تخزين المعلومات المستفادة من الإجابة عن السؤال التالي من يعرف ماذا ؟ (who knows what). فهي تسجل كلما يتعلق بخبرات الأشخاص وكفاءاتهم المهنية. ويؤدي التنسيق بين الذاكرات التفاعلية لأفراد منتمين إلى وحدة إنتاجية ما إلى تطوير مجموعة ذهنية (group minds) يكون بمقدورها اختيار الرجل الملائم مهنيا لإنجاز مهمة ما.
Wegner, D.M. .Transactive memory: A contemporary analysis of the group mind. In B. Mullen & G.R. Goethals (Eds.), Theories of group behavior (pp. 185-208). New York:Springer-Verlag. 1986

28. Zhang, Z.X., Hempel, P.S., Han, Y.L., & Tjosvold, D. Transactive memory system links team characteristics and performance. Journal of Applied Psychology, 92, 1722-1730. 2007.
29. Ren, Y., Carley, K.M., Argote, L. (2006). The contingency effects of transactive memory: When is it more beneficial to know what others know? Management Science, 52, 671- 682.
30. Elfenbein, H., Foo, M.D., Tan, H., & Aik, V. The benefit of understanding

others> emotions for effectiveness in negotiation. Journal of Nonverbal Behavior, 31, 205-223. 2007.

31. Galinsky, A.D., Magee, J.C., Inesi, M.E., & Gruenfeld, D.H. Power and perspectives not taken. Psychological Science, 17, 1068-1074. 2006
32. الإمساك المنظوري: إحدى مهارات قراءة أذهان الآخرين التي تمكن الفرد من فهم وجهة نظر الآخرين حول موضوع ما وأخذها بعين الاعتبار والإلمام بالحيثيات والظروف التي دعت هؤلاء إلى اعتماد وجهة نظر هذه دون غيرها.
33. Lee, D. Game theory and neural basis of social decision making. NatureNeuroscience, 11, 404-409.
34. McCabe, K.A., Smith, V.L., & LePore, M. Intentionality detection and "mindreading": Why does game form matter? Proceedings of the National Academy of Sciences, 97, 4404-4409. 2000
35. Rilling JK, Sanfey AG, Aronson JA, Nystrom LE, & Cohen JD. The neural correlates of theory of mind within interpersonal interactions. NeuroImage, 22, 1694-1703. 2004.
36. Picard, D. Les rituels du savoir–vivre, Seuil, 1995
37. Dortier, J-F. (). Sciences Humaines, Hors Series, 16, 6-11, 1997
38. Ibid., P 6
39. Goffman. E. Rites d'interaction, Ed. Minuit. 1974
40. Khabbache H. « Are You a Mind Reader ? » in Berdai Abdelhamid, Khabbache Hicham, Gaucher Charles, Smith Roger (éd.),Travail Social à l'Epreuve des Coopérations Ouvertes et des Coopération Fermées, Fès, Presses Universitaires de Sidi Mohamed Ben Abdellah- Fès, p. 129-142.2010
41. Edmond–Marc، Identité et communication، PUF، Paris، 1992
42. Paal T. and Bereczkei T. Adult theory of mind، Machiavellianism، and cooperation: theeffect of mindreading on social relations. Personality and IndividualDifferences 43: 541-551. 2007
43. Nicolas Machiavel, Le Prince, Paris, Livre de Poche, p. 92, 1972,
44. Synder, M."Self-monitioring of expressive behaviour" Journal of personality and socialpsychology, 30(4), 526-537.1974.
45. Gruenfeld, D.H, Inesi, M.E., Magee, J.C., &Galinsky, A.D. Power and the objectification of social targets. Journal of Personality and Social Psychology, 95, 111-127. 2008.
46. Synder, M. Op.cit. p 526
47. Epley, N. & Waytz, A., Op.cit, p 5. in press.
48. Gregory Bateson.Steps to and Ecology of Mind. Collected Essays in

Anthropology, Psychiatry, Evolution and Epistemplogy. Jason Aronson Inc., Northvale, New Jersey, London, , pp.205-233, 1987
49. Nicolas, David.. "Ambiguïté". In D. Godard, L. Roussarie et F. Corblin (éd.), Sémanticlopédie: dictionnaire de sémantique, http://www.semantique-gdr.net/dico/index.php/Ambigu%C3%AFt%C3%A9. 2006
50. Gilovich, T. How we know what isn't so: The fallibility of human reason in everydaylife. New York: The Free Press. P.9.1991.
51. Keysar, B., & Barr, D.J. Op. cit. p. 150.
52. Grice, H. Logic and conversation. In P.Cole & J.L. Morgan (Eds.), Syntax andsemantics: Speech acts. New York: AcademicPress.1975.
53. Festinger, L. A theory of cognitive dissonance. Stanford, CA: Stanford University Press.1957
54. Lau, I.Y-M., Chiu, C-y., & Hong, Y. Iknow what you know: Assumptions about
55. others' knowledge and their effects onmessage construction. Social Cognition, 19,587-600.2001.
56. Tichenor, P.J., Donohue, G.A. and Olien, C.N.. Mass Media Flow and Differential Growth in Knowledge, Public Opinion Quarterly 34: Colombia University Press.1970.
57. Dortier, J-F. Op.cit 7
58. Katz, E., & Lazarsfeld, P., Personal Influence, New York: The Free Press.1955.
59. Hare, B. From nonhuman to human mind: what changed and why. Current
60. Directions in Psychological Science. 16, 60-64. 2007.
61. De Villers .
62. Epley, N. & Waytz, A. Op.cit.
63. Herrmann, E., Call, J., Hernández-Lloreda, M.V., Hare, B., & Tomasello, M. (). Response to de Waal et al. Science, 319, 570-571.2008.
64. Epley, N. & Waytz, A. Op.cit.
65. وبتصرفنا هذا لا نختلف كثيرا عن تلك القبائل البدائية التي تؤنسن مجموعة من الظواهر الطبيعة، ومن ذلك بعض الشعوب الأصلية بأستراليا التي تصنف كل من الشمس والنار والماء والمعارك في نفس الفئة التي تصنف فيها النساء. فهي تنظر إلى تلك الموضوعات وبوصفها تنتمي إلى فئة الأشياء الخطيرة. ومن هنا ندرك أن قيمة الأشياء وأهميتها بالنسبة لنا هي التي تجعلنا نخلع عليها حالات ذهنية وعاطفية، وذلك على غرار ما تفعله الشعوب البدائية بموضوعات الطبيعة وذلك لصلتها الوثيقة بها.
Lakoff، George، ، Women، Fire، and Dangerous Things. What Categories

.Reveal about theMind، Chicago، The University of Chicago Press.1987
66. AI Goldman. Précis of Simulating Minds: The Philosophy, Psychology, and Neuroscience of Mindreading, Philo stud, Springer; p 432.2009.
67. Bertrand Russell, Problèmes de philosophie, Editions Payot, Paris. 1989.
68. Epley, N., Keysar, B., Van Boven, L., & Gilovich, T.. Perspective taking as egocentric anchoring and adjustment. Journal of Personality and Social Psychology, 87, 327-339. 2004.
69. Malebranche. De la recherche de la vérité. T1, Ed. Vrin. 1674.
70. Alvin, I, Goldman. Précis of simulating minds: the philosophy, psychology, and neuroscience of mindreading, Philos.sud, Springer. 144, 431-434. 2009.
71. Apperly. I.A., Beyond Simulation-Theory and Theory-Theory: Why social cognitive neuroscience should use its own concepts to study "Theory of Mind". Cognition, 107, 266-283.2008.
72. Remy Debes; Which empathy? Limitation in the mirrored « understanding » of emotion.Syntese, 175, 219-239.2010.
73. Hisashi Nakao & Shoji Itakura .An Integrated view of empathy: Psychology, Philosophy, and Neuroscience. Integr Psych Behav, 43, 42-52.2010.

ومن الأمثلة التوضيحية حول انحياز الفرد نحو التمركز حول ذاته لمعرفة الآخر توهمه أن الموضوعات الشخصية

74. المهمة بالنسبة إليه والتي يعتبرها تحفا نادرة لا يجب التفريط فها هي مهمة حتى بالنسبة للآخرين الذين في اعتقاده ينافسوه على اقتنائها. بينما في الواقع الآخرون لا يأبهون بتلك الموضوعات، إذ لا حضور لها في مجال اهتمامهم. .

75. Annika Walin. Is egocentrism bias evidence for simulation theory? Synthese, 172-210-211.2008.
76. Derek W. Strijbos and Leon C. de Bruin. Making Folk Psychology Explicit The Relevance of Robert Brandom's Philosophy for the Debate on Social Cognition, (forthcoming in Philosophia).2010.
77. Heider, F. The psychology of interpersonal relations. New York: John Wiley & Sons. 1958.
78. Heider, F. Social perception and phenomenal causality. Psychological Review, 51, 358–374.1944.
79. Fiske, S.T., & Taylor, S.E. Social cognition (2nd ed.). New York: McGraw-Hill.1991
80. Hirschfeld, L. A. Do children have a theory of race? Cognition, Volume 54, Issue 2, February 1995, Pages 209-252.1995.

81. Derek W. Strijbos and Leon C. de Bruin.P. 12.Op.cit .
82. Meltzoff, A. N. The 'like me' framework for recognizing and becoming an intentional agent. Acta Psychologica, 124 26–43.2007.
83. Apperly. I.A., Beyond Simulation-Theory and Theory-Theory: Why social cognitive neuroscience should use its own concepts to study "Theory of Mind". Cognition, 107, 266-283. P277.2008
84. Candau, J. Anthropologie de la mémoire. Paris: Armand Colin.2005.
85. Apperly. I.A., Op.cit, P.281
86. Ames, D. R.. Inside the mind reader's toolkit: Projection and stereotyping in mental state inference. Journal of Personality and Social Psychology, 87, 340-353.2004.
87. Dimaggio, G., Lysaker, P. H., Carcione, A., Nicolò. G, & Semerari A. Know yourself and you shall know the other... to a certain extent: Multiple paths of influence of self-reflection on mindreading. Consciousness and Cognition 17, 778-789.2008.
88. Hugenberg, K., & Bodenhausen, G. V. Ambiguity in social categorization: The role of prejudice and facial affect in racial categorization. Psychological Science, 15, 342-345.2004.
89. Idson, L.C., & Mischel, W. The personality of familiar and significant people: The lay perceiver as a social-cognitive theorist. Journal of Personality and Social Psychology, 80, 585–596.2001.
90. Karniol, R. Egocentrism versus protocentrism: The status of self insocial prediction. Psychological Review، 110، 564–580.2003.
91. Suler, J.R. The online disinhibition effect. CyberPsychology and Behavior, 7, 321-326.2004.
92. Tanis, M. Online Social Support Groups. In A. Joinson, K. Y. A. McKenna, T. Postmes & U. D. Reips (Eds.), Oxford Handbook of Internet Psychology (pp. 137-152). Oxford, UK: Oxford University Press.2007.
93. Tanis, M., & Postmes, T. Two faces of anonymity: Paradoxical effects of cues to identity in CMC. Computers in Human Behavior, 23, 955-970. 2007.
94. Barak, A., Boniel-Nissim, M., & Suler, J. Fostering empowerment in online support groups. Computers in Human Behavior, 24, 1867-1883.2008
95. Jean Baudrillard .Simulacres et Simulation, Galilée, 1981
96. Barak, A., & all. Op.cit P 1870
97. Christopherson, K. M. The positive and negative implications of anonymity in Internet socialinteractions: "On the internet, nobody knows you're a

dog''. Computers in Human Behavior, 23, 3038–3056.2007.
98. Suler, J. R. The psychology of text relationships. In R. Kraus, J. Zack, & G. Stricker (Eds.), Onlinecounseling: A handbook for mental health professionals (pp. 19–50). San Diego, CA: Elsevier.2004.
99. Barak, A., & all. Op.cit P 1871
100. Taylor, J., & MacDonald, J. The effects of asynchronous computer-mediated group interaction on groupprocesses. Social Science Computer Review, 20, 260–274.2002.
101. Turkle, S. Whither psychoanalysis in computer culture? Psychoanalytic Psychology, 21, 16–30.2004.
102. Barak, A., & all. Op.cit P 1871
103. Cummins, D.D. How the social environment shaped the evolution of mind. Synthese, 122, 3-28.2000.
104. Barak, A., & all. Op.cit P 1872
105. Galegher, J., Sproull, L., & Keisler, S. Legitimacy, authority, and community in electronic supportgroups. Written Communication, 15, 493–530.1998.
106. Barak, A., & all. Op.cit P 1871
107. Synder, M. Op.cit. p 527
108. Barak، A.، لله all. Op. cit P -18721873
109. هشام خباش. نظرة إلى الطفولة من خلال مد الجسور بين المعرفية التعددية وعلوم التربية، مجلة الطفولة العربية، العدد 32، المجلد 8، 2007.93-89
110. Pennebaker, J. W., & Seagal, J. D. Forming a story: The health benefits of narrative. Journal of ClinicalPsychology, 55, 1243–1254.1999.
111. Esterling, B. A., L'Abate, L., Murray, E. J., & Pennebaker, J. W. Empirical foundations for writing inprevention andpsychotherapy: Mental and physical health outcomes. Clinical Psychology Review, 19, 79–96.1999.
112. Hoybye, M.T., Johansen, C., & Tjornhoj-Thomsen, T. Online interaction: Effects of storytelling in anInternet breast cancer support group. Psycho-Oncology, 14, 211–220.2005.
113. Braithwaite, D. O., Waldron, V. R., & Finn, J. Communication of social support in computer-mediatedgroups for people with disabilities. Health Communication, 11, 123–151.1999.
114. Barak, A., & all. Op.cit P -18741875
115. Cummings, J. N., Sproull, L., & Kiesler, S. B. Beyond hearing: Where the real-world and online supportmeet. Group Dynamics, 6, 78–88.2002.

116. Grice, H.. Op.cit. P 35..
117. Radin, P. "To me, it's my life": Medical communication, trust, and activism in cyberspace. Social Scienceand Medicine, 62, 591–601.2006.
118. Tanis, M. Online social support groups. In A. Joinson, K. McKenna, T. Postmes, & U. D. Reips (Eds.),The Oxford handbook of internet psychology (pp. 139–154). New York: Oxford University Press.2007
119. Barak, A., & all. Op.cit P.1875.
120. Bakardjieva, M. Virtual togetherness: An everyday-life perspective. Media, Culture andSociety, 25,291–313.2003
121. Worotynec, Z. S. The good, the bad and the ugly: Listserv as support. CyberPsychology and Behavior, 3,797–810.2000.
122. Hoybye,M.T.,Johansen,C.,&Tjornhoj-Thomsen,T.Online interaction: Effects of storytelling in anInternet breast cancer support group. Psycho-Oncology, 14, 211–220.2005.
123. Braithwaite, D. O., Waldron, V. R., & Finn, J. Communication of social support in computer-mediatedgroups for people with disabilities. Health Communication, 11, 123–151.1999.
124. Radin, P. Op.cit. p592.
125. Coulson, N. S., & Knibb, R. C. Coping with food allergy: Exploring the role of the online support group.CyberPsychology and Behavior, 10, 145–148.2007.
126. Weis, R., Stamm, K., Smith, C., Nilan, M., Clark, F., Weis, J., & Kennedy, K. ().Communities of care andcaring: The case of MSWatch com. Journal of Health Psychology, 8, 135–148.2003
127. Bunde, M., Suls, J., Martin, R., & Barnett, K. Online hysterectomy support: Characteristics of websiteexperiences.CyberPsychology and Behavior, 10, 80–85.2007.
128. Braithwaite, D. O., Waldron, V. R., & Finn, J. Op.cit.P 124,
129. Hoybye, M. T., Johansen, C., & Tjornhoj-Thomsen, T. Opcitp 211.2005.
130. Hwang, K. O., Farheen, K., Johnson, C. W., Thomas, E. J., Barnes, A. S., & Bernstam, E. V. Quality ofweight loss advice on Internet forums. American Journal of Medicine, 120, 604–609.2007.
131. Coulson, N. S., & Knibb, R. C. Op.cit. P. 146.2007.
132. Barak, A., & all. Op.cit P.1875
133. نتوقف عند حالة تونس ومصر كيف أن الإحساس بالتضامن والتآزر مكن مدوني المواقع الاجتماعية من نقل المواجهة من العالم الافتراضي إلى عالم الواقعي، متجاوزين الإحساس بالخوف من السلطة

المؤسساتية القائمة.

134. Sharf, B. F. Communicating breast cancer on-line: Support and empowerment on the Internet. Womenand Health, 26, 65–84.1997.

135. Sharf, B. F. Communicating breast cancer on-line: Support and empowerment on the Internet. Womenand Health, 26, 65–84. 1997.

136. حول المعطيات الميدانية نذكر ما يلي:

دراسة حول مرضى سرطان الثدي

Hoybye, M. T., Johansen, C., & Tjornhoj-Thomsen, T. Online interaction: Effects of storytelling in anInternet breast cancer support group. Psycho-Oncology, 14, 211–220. 2005

دراسة حول سرطان البروستات.

Seale, C. F. Portrayals of treatment decision-making on popular breast and prostate cancer web sites.European Journal of Cancer Care, 14, 171–174. .2005

دراسة حول والنساء عندما يبلغن سن اليأس

Bresnahan, M. J., & Murray-Johnson, L.. The healing Web. Health Care .for Women International, 23, 398–407. 2002

137. Gallese, V., Fadiga, L., Fogassi, & Rizzolatti, G. Action recognition in the premotor cortex. Brain, 119, 593-609. 1996.

138. Rizzolatti, G., Fadiga, L., Matelli, M., Bettinardi, V., Paulesu, E., Perani, D., &Fazio F., Localization of grasp representations in humans by PET: 1. Observation versus execution, Experimental Brain Research, 111 (2), 246-252. 1996.

139. Rizzolatti G, Fogassi L, Gallese V. Neurophysiological mechanisms underlying the understanding and imitation of action. Nature Rev Neurosci 2:661–670. 2001.

140. Blakemore S-J, Winston, J, Frith, U. Social Cognitive Neuroscience: where are we heading? Trends in Cognitive Science 8, 216-222. 2004

141. Brass, M., Bekkering, H., & Prinz, W. Movement observation affects movement execution in a simple response task. Acta Psychologica 106, 3-22. 2001.

142. Buccino G, Binkofski F, Fink GR, Fadiga L, Fogassi L, Gallese V, Seitz RJ, Zilles K, Rizzolatti G, Freund HJ. Action observation activates premotor and parietal areas in a somatotopic manner: an fMRI study. Eur J Neurosci. 13(2):400-4. 2001.

143. Singer, T.,Seymour B., O'Doherty, J. P., Stephan, K. E., Dolan, R. J., & Frith, C. Empathy for pain involves the affective but not sensory component of pain, Science, 303, 1157-1162, 2004.
144. De Vignemont, F. Drawing the boundarybetweenlowlevel and high-level, Philos Stud, Springer, n° 144, p. 458. 2009.
145. Fodor, J. A. Modularity of Mind: An Essay on Faculty Psychology. Cambridge, Mass.: MIT Press. 1983.
146. Adolphs, R., Tranel, D., & Damasio, H., "Emotion recognition from faces and prosody following temporal lobectomy." Neuropsychology 15: 396-404. 2001.
147. Cosmides, L. & Tooby, J. Social exchange: The evolutionary design of a neurocognitive system. In The New Cognitive Neurosciences, III (Michael S. Gazzaniga, Ed.). Cambridge, MA: MIT press. 2004.
148. Beer, J. S., & Ochsner, K. N. Social cognition: A multi level of analysis. , Brain Researches 1 0 7 9, 98-105. 2006.
149. Amodio، D.، Frith، C.D.، Meeting of minds: the role of themedial frontal cortex in social cognition, Nat. Rev., Neurosci. V 7,268-276. . 2006
150. Frith, U., Frith, C.D.,(). Development and neurophysiology ofmentalizing. Philos. Trans. R. Soc. London, Ser. B Biol. Sci. 358(1431), 459–473. 2003.
151. Lee, T. M., Liu, H. L., Tan, L. H., Chan, C. C., Mahankali, S., Feng, C. M., Hou J, Fox PT, &Gao JH . Lie detection by functional magnetic resonance imaging. Human Brain Mapping, 15, 157–164. 2002.
152. Morris JS, Frith CD, Perrett DI, Rowland D, Young AW,Calder AJ, Dolan RJ. A differential neural response in the human amygdala to fearful and happy facial expressions.Nature 383:812-815. 1996
153. Breiter HC, Etcoff NL, Whalen PJ, Kennedy WA, Rauch SL, Buckner RL, et al: Response and habituation of the human amygdala during visual processing of facial expression. Neuron 17:875– 887. 1996
154. Canli T, Sivers H, Whitfield SL, Gotlib IH, Gabrieli JD. Amygdala response to happy faces. as a function of extraversion. Science 296: 2191. 2002.
155. Winston,J.S., Strange,B.A. , O'Doherty, J., & Dolan, R.J. Automatic and intentional brain responses during evaluation of trustworthiness of faces. Nat.Neurosci., 5, 277-283. 2002.
156. Greene, J.D., Sommerville, R.B., Nystrom, L.E., Darley, J.M., & Cohen, J.D.. An fMRI investigation of emotional engagement in moral Judgment.

Science, Vol. 293, Sept. 14, 2001, 2105-2108. 2001

157. Anderson SW, Bechara A, Damasio H, Tranel D, Damasio AR. Impairment of social and moral behavior related to early damage in the human prefrontal cortex. Nature Neuroscience: 2; 1032–1037. 1999